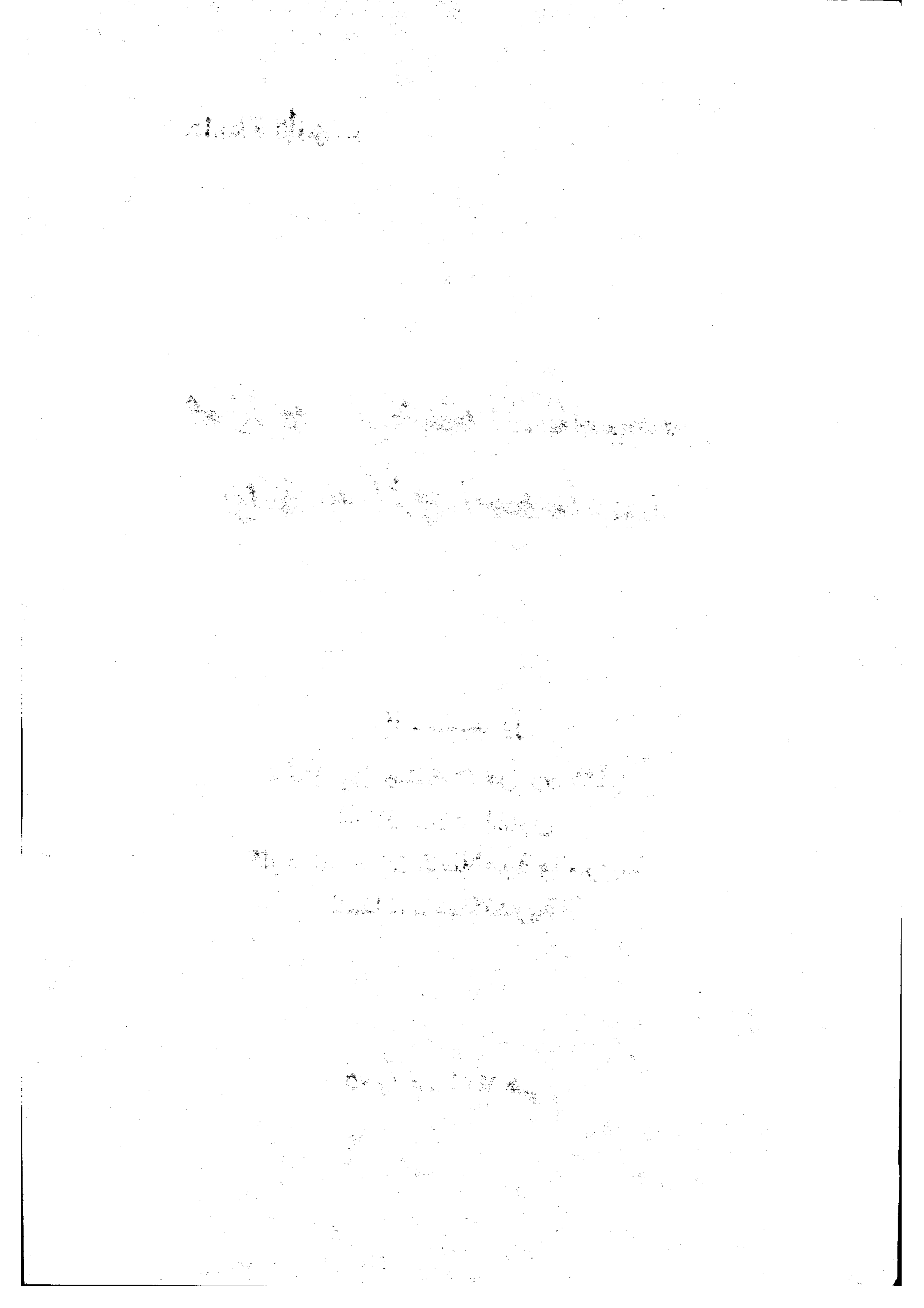
جامعة الأزهـــر

قــواعد البحث الأكاديــمى والنــمـاذج البحثـيـة

دكتـــــــــــور
علي بن محمد بن رمضان
أستاذ الفقه المقارن
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات بالاسكندرية

٢٠٠٥ م - ١٤٢٥ هـ

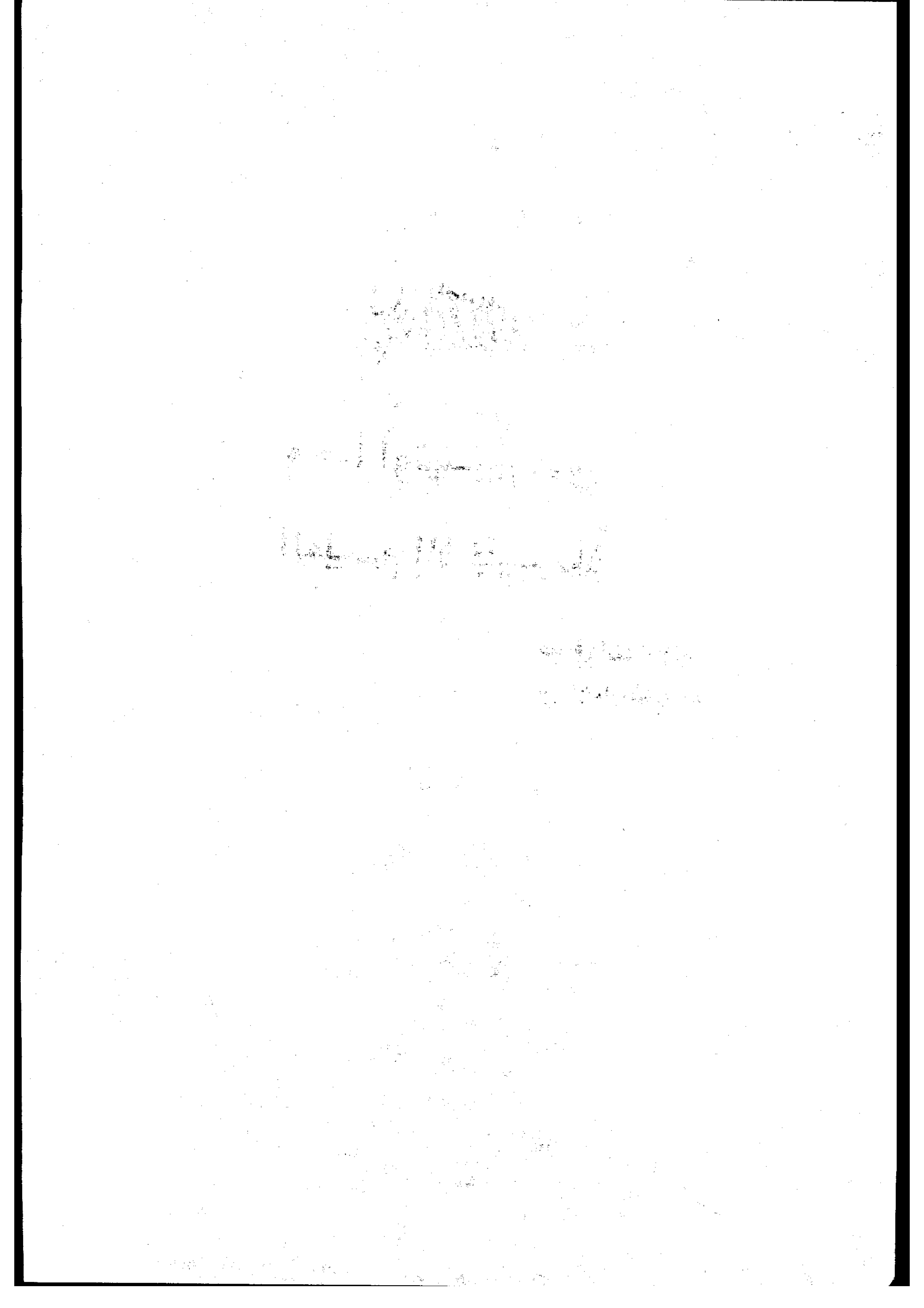


بسم الله الرحمن الرحيم

وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً

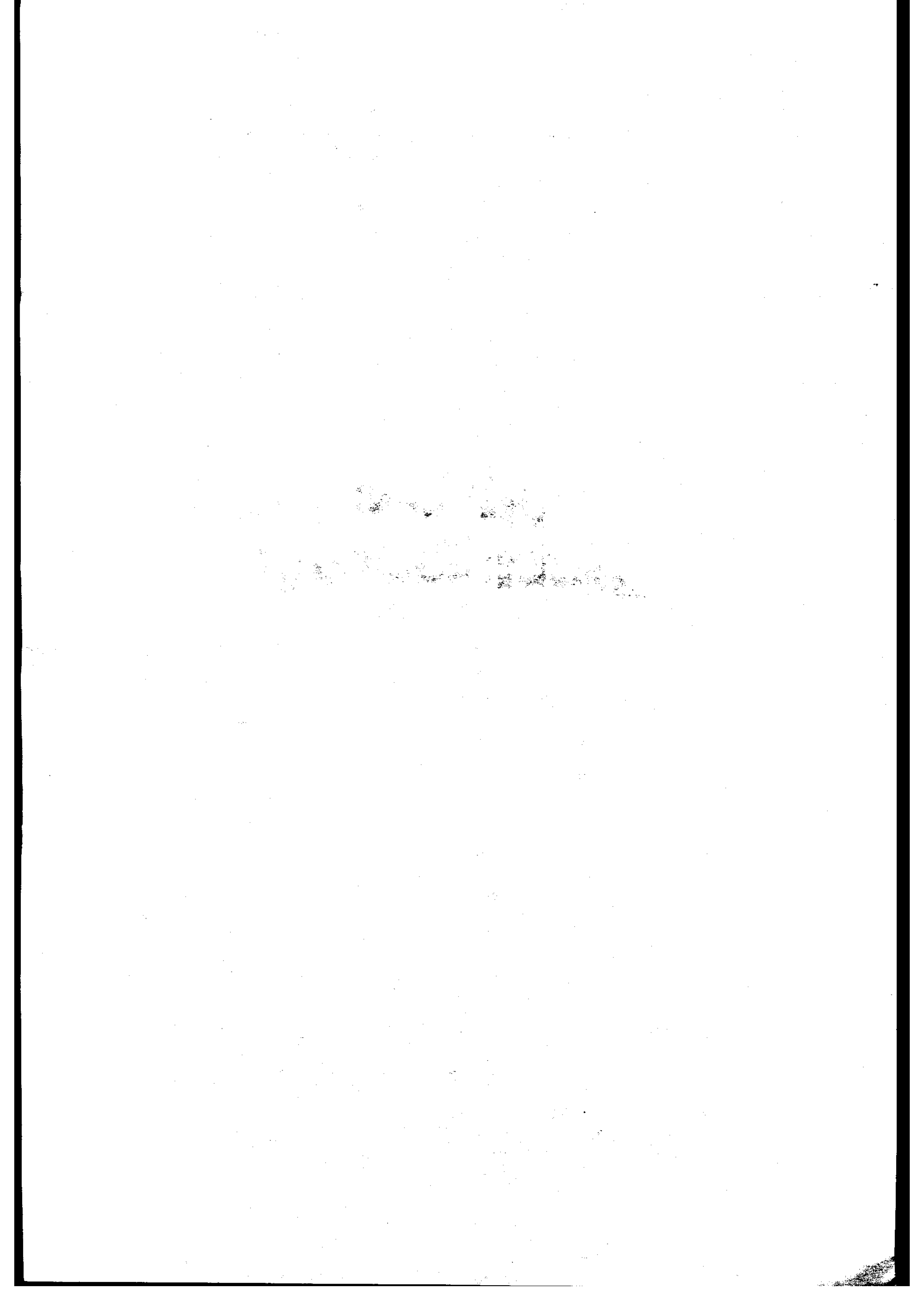
صدق الله العظيم

سورة الإسراء الآية رقم ٨٥



القسم الأول

قواعد البحث الأكاديمى



بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥

الإسلام والعلم

إذا كانت المدارس الفكرية القديمة عرَّفت الإنسان : بأنه حيوان ناطق وعرفه رجال الفكر الحديث : بأنه إنسان مفكر .

.. فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك بقوله : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [١].

فنبه على أن قيمة الإنسان الحقيقية إنما تكون وتتحقق ببلوغه مرحلة من مراحل العلم وتقدمه فى مضمار الثقافة .

والعلم فى الإسلام دعامة من دعائمه ، وركن من أركانه ، ولقد مدح الله القلم الذى يسطر العلماء به ، حين أقسم به تعالى فى قوله : « وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »[٢] ومدح العلماء فى قوله : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »[٣]. وقال تعالى : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »[٤].

---

(١) سورة الزمر آية ٩ .
(٢) سورة القلم آية ١
(٣) [illegible] فاطر ٢٨
(٤) [illegible] ١١

وكثيرا ما كان صلوات الله وسلامه عليه ، يحض أصحابه رضوان الله عليهم على تعلم اللغات الأجنبية ، ليضموا إلى معارفهم ثقافة غيرهم من الأمم ، بل إنه حدد عاما واحدا لمحو الأمية .

روى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطب فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ..؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة »[١] .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ..؟ قالوا : الأشعريين ، فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : يا رسول الله ذكرت أقواما بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ..؟ فأعاد عليهم ما ذكره فى خطبته : ليعلمن قوم جيرانهم ، أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا .

فقالوا : يا رسول الله أنفطن غيرنا ..؟

فأعاد عليهم ما قاله ، فقالوا يا رسول الله أمهلنا سنة ، فأمهلهم وقرأ عليهم قوله تعالى : « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ »[٢] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى العلم ، وأعلن الحرب على من يقصرون فى طلب العلم ، وأعطى مهلة عام واحد للقضاء على الجهالة والجهل . ولا عجب فى ذلك لأن أول ما نزل من القرآن كان دعوة إلى العلم .

---

(١) رواه الطبرانى ، وصاحب الترغيب والترهيب . ومجمع الزوائد

(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٨ .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (١).

.. لقد كانت « اقرأ » دعوة إلى الثقافة ، إلى العلم ، إلى الفكر ، إلى البحث فى آفاق السماء ، وفى بطون الأرض ، وعلى قمم الجبال وفى أعماق البحار ، وفى كل خلق الله .

ولقد اتسم الإسلام منذ هذه الكلمة بالطابع العلمى .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٢).

وهذه إحدى شعارات المسلم ، ومن استوى يوماه فهو مغبون ومن لم يكن إلى زيادة فهو حتما إلى نقصان .

وإن مداد العلماء المتقين ليوزن فى ميزان الخير والحسنات . بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء .

إن الله سبحانه وتعالى : قد امتن علينا ، بأن سخر لنا الليل والنهار والشمس والقمر ، وسخر لنا الأرض والسماء ، وما بين الأرض والسماء .

والامتنان الإلهى ، هذا معناه . دعوة صريحة للمسلمين إلى أن يستجيبوا

(١) سورة العلق من ١ إلى ٥ .
(٢) سورة طه آية رقم ١١٤

للتوجيه الإلهى ، فيسخروا كل ذلك بالعلم والمعرفة ، ويمتلكوا الكون لنفع الإنسانية .

والعلم فى الإسلام لا يقتصر على الجانب المادى فقط . لأن النظرة الإسلامية إلى العلم أوسع بكثير وأعمق من النظرة الحديثة الأوربية ، التى تقصر العلم على الجانب المادى .

منهج الإسلام في الدعوة إلى العلم

سلك القرآن فى إرشادنا إلى العلم مسلكا علميا واقعيا يختلف كل الاختلاف عن المناهج الأخرى الجدلية والظنية ، التى تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الأفهام . ويقوم منهج الإسلام على دعامتين قويتين .

(أ) أولاهما : أن نستفيد من تجارب غيرنا سابقين لنا أم معاصرين . وعبر عنها بالسماع قال تعالى :

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ »(١).

(ب) وثانيهما : استعمال العقل والتجارب فى طلب الحقيقة لنهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيرنا ، وعبر عنها بالعقل ، قال تعالى :

« إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ »(٢).

---

(١) سورة ق آية رقم ٣٧ .
(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٢ .

ولم يكتف القرآن بذلك بل وضع ضوابط علمية دقيقة لهاتين الوسيلتين للاحتراس من الزلل أو الانحراف ، ولنعرض بعض هذه الضوابط ، لعل الشاردين عن الجادة ، المتجهين إلى موائد الشرق والغرب يثوبون إلى رشدهم ، ويعودون إلى كتاب ربهم ، ينهلون من معينه ويغترفون من هداه . من ذلك .

(أ) ألا يكتم عالم ما اهتدى إليه من معارف وعلوم ، فإن هذه المعارف ليست ملكا خالصا له ، وإنما هى هداية من الله وبتوفيق منه . يقول تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ » [1]

(ب) أمانة العلم ينبغى أن تكون فى المحل الأول من الاعتبار بحيث ينقل العالم معلوماته واضحة دقيقة لا لبس فيها ولا تحريف ، ولا زيادة ولا نقصان قال تعالى : « أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ » [2] .

وقال تعالى : « وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ » [3] .

(حـ) العلم حق مشاع للإنسانية جمعاء ، وما بعث الله الرسل إلا معلمين

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩

(٢) سورة البقرة آيه رقم ٧٥ .

(٣) البقرة آية رقم ٤٢ .

مرشدين ، سواء أكان ذلك بالكتب المنزلة ، أم بالقدوة الطيبة ، واشتراط الأجر فى الإسلام يتنافى مع مبادىء الإسلام - إلا فى حالة الاضطرار .

قال تعالى : ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا (١) .

ويقول تعالى : وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا (٢) .

(د) البعد عن ضياع الوقت فى المناقشات الجدلية سواء من جهة المعلمين أم المتعلمين ، والواقع أنه لا يضلل العقول ولا يعوق التقدم مثل المجادلات « البيزنطية » التى تبدد الجهود ، وتضل العقول ، وتثير الخلافات فى غير طائل ، قال تعالى : وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣) .

(هـ) الاقبال على النافع المفيد ، وترك ما لا طائل وراءه من « الأبحاث » العقيمة وقد وصف الله المؤمنين بقوله :

وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا (٤) . وقوله وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٥)

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الإلحاح فى طلب المحال أو ما يشبه المحال فقال تعالى : لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ (٦) .

---

(١) يس آية رقم ٢١ .
(٢) المائدة آية رقم ٤٤ .
(٣) غافر آية رقم ٥ .
(٤) الفرقان آية رقم ٧٢ .
(٥) المؤمنون آية رقم ٣ .
(٦) المائدة آية رقم ١٠١

(و) التمييز والدقة فى اختيار من نتلقى عنه المعارف والعلوم ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله : « فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ »[١] وقال تعالى : « فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا »[٢].

هذا وغيره كثير ، ولكننا ومع ذلك نجد بعض المتنطعين ممن يلقون القول على عواهنه ويلقون بأحكامهم من غير بينة ، ويدعون أن الإسلام يحارب العلم . ولهؤلاء نقول .

(١) الأنبياء آية رقم ٧ .
(٢) الفرقان آية رقم ٥٩ .

مشكلة التعارض بين الدين والعلم

إن هذه المشكلة إنما نشأت فى أوربا بعيدة عن الجو الإسلامى ، إنها تصور نزاعا فى بيئة بعيدة كل البعد عن الروح الإسلامية التى حثت الإنسانية على التعليم والتى ولد المنهج العلمى الذى يسمونه المنهج الحديث بين ربوعها والتى أنشأت على أساس من هذا المنهج حضارة ضخمة لا نزال نكشف كل يوم الكثير من جوانبها العميقة .

وما من شك فى أن الحضارة الإسلامية هى التى قدمت للحضارة الغربية الحديثة منهجها وقدمت لها الكثير من الحقائق العلمية فى كثير من المجالات المختلفة . إن المنهج العلمى الحديث فى أوربا يرجع إلى « روجر بيكون » فهو الذى أذاعه ونشره فى أرجاء أوربا .

ويتحدث الأستاذ « بريفولت » فى كتابه « بناء الإنسانية » ، فيقول عن « روجر بيكون » انه « درس اللغة العربية والعلوم العربية فى مدارس « أكسفورد » على تلاميذ العرب فى الأندلس ، وليس « لروجر بيكون » ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى فلم يكن « روجر بيكون » إلا (طالبا من طلاب) العلم والمنهج الذى ابتكره المسلمون » .

وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر « بيكون » قد انتشر انتشارا واسعا وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوربا . ويقول بريفولت أيضا :

« لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج »(١).

« إن العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد أوربا إلى الحياة ، بل أن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية » .

« انه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا تمكن إرجاع أصولها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفى المصدر القوى لازدهاره . أى فى العلوم الطبيعية ، وفى روح البحث العلمى »(٢).

ان ما يدين به علمنا للعرب ، ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة . بل يدين لها بوجوده نفسه .

فالعالم القديم - كما رأينا - لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم .

(١) الإسلام والعقل والتوحيد الخالص
(٢) المصدر السابق

وأخذوها عن سواهم ولم تتأقلم فى يوم من الأيام فتمتزج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية . وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبى كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى .

.. أما ما ندعوه « العلم » فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ، لطرق التجربة والمقاييس ، وتطور الرياضيات ، إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها العرب للعالم الأوربى .

ويقول « دوهرنج » : إن آراء « بيكون » فى العلوم أصدق وأوضح من آراء سميه المشهور « فرنسيس بيكون » .

ومن أين تلقى « روجر بيكون » ما حصله فى العلوم ..؟ إن الحقائق تقرر أنه أخذه من الجامعات الإسلامية فى الأندلس ، والقسم الخامس من كتابه .. Opusvaius الذى خصصه للبحث فى البصريات هو فى حقيقة الأمر نسخة من كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، وكتاب « بيكون » فى جملته شاهد ناطق على تأثره بابن حزم[1] .

إن ما قاله « دوهرنج » ومن قبله « بريفولت » هو عين الواقع . لأن علماء

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة سيد قطب ص ٣٥ ، ٣٦ بتصرف .

الإسلام لم يجدوا كنيسة تقف أمام آرائهم ، وتصادر أفكارهم وتقدمهم للمحاكمة وتتهمهم بالهرطقة .

.. بل وجدوا في دينهم السماحة واليسر ، والدعوة إلى معرفة أسرار الكون وخفايا الوجود ، حتى تسخر لخير البشرية ، ولتعمير الكون وتطور الحياة .

وصدق الله العظيم في قوله : « **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾** »[1] .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٨ .

عباقرة العلم فى العالم تخرجوا من مدرسة الإسلام

.. يقول « برنال » فى كتابه « تاريخ العلم » ..

« إن العلماء المسلمين أدوا للإنسانية خدمات لا تقدر » .

ولقد تسابق حكام المسلمين فى تكريم العلم والعلماء حتى أن الحاكم الفاطمى طلب من العالم المشهور - الحسن بن الهيثم عالم الرياضة أن يزوره فى القاهرة . فلما قرب مقدمه ، خرج الحاكم لاستقباله على باب من أبواب القاهرة ، وفى عاصمة الفاطميين وضع الحسن بن الهيثم نظريته الجديدة فى انكسار الضوء وأراد أن يبنى سدا عاليا على النيل فلم يجد الإمكانيات موفورة ، وبحوثه فى علم الضوء والبصريات موضع إعجاب الأوربيين حتى اليوم . ومن علماء المسلمين جابر بن حيان الذى اكتشف علم الجبر . والخوارزمى صاحب علم « اللوغارتم » . والخليل بن أحمد مكتشف أصول المعجم اللغوى وعلم أوزان الشعر وقوافيه وكذلك اهتدى سيبويه إلى فلسفة اللغة العربية وأصولها فى الإعراب ونجد ابن ماجد العربى يضع أصول العلوم البحرية وقواعد الملاحة . والإمام محمد ابن الحسن الشيبانى الذى سبق العالم بما يقرب من ثمانية قرون وضع القانون الإسلامى فى العلاقات الدولية .. فى كتابه المسمى « بالسير » .. ولقد كان

طلاب العلم يفدون إلى الأندلس وصقلية وكل العواصم الإسلامية من كل أنحاء أوربا ليدرسوا على الأساتذة المسلمين ، وكان منهم ..

(أ) « حربرت » الذى تولى البابوية فى روما فى آخر القرن العاشر الميلادى وقد تلقى تعليمه فى الأندلس واتهم بالإلحاد عندما أراد أن ينشر فى أوربا ما أخذه عن العرب .

(ب) ومنهم القس المسيحى « نيكلدس » الذى قام فى أواخر القرن الثالث عشر برحلة إلى البلاد الإسلامية حيث قضى فيها سبع سنوات درس فيها القرآن الكريم وعلومه . ثم عاد إلى أوربا وطلب من إخوانه فى المسيحية أن يتخذوا من أصول الإسلام وصفات المسلمين مثلا أعلى لهم وأبدى إعجابه الشديد بالدراسات الإسلامية .

(حـ) والشريف الإدريسى العالم الجغرافى المعروف . أقام فى صقلية فترة ثم رحل إلى روما بعد سقوط صقلية فى أيدى ملوك « النورمانديين » وألف هناك كتابه المشهور « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ووضع أول خريطة جغرافية للعالم طبعها المجمع العلمى فى بغداد .. ووضع أيضا هذا العالم الإسلامى الجليل .. كرة من الفضة تمثل الأرض ونقش عليها أسماء كل البلاد المعروفة بالحروف العربية ..

(د) والوزان الفاسى .. الطبيب العربى أسره القراصنة وذهبوا به إلى روما فقربه البابا « ليون العاشر » وكان يهتم بالعلوم الإسلامية وأذاع على شعبه أن أسيره دخل المسيحية وسماه « ليون الإفريقى » وصار الوزان أستاذا فى كلية بولونيا بإيطاليا ، واهتم بالدراسات الطبية وكان له فضل على التقدم الطبى فى أوربا ..

فقد ألف قاموسا طبيا حاول فيه ترجمة المصطلحات الطبية العربية إلى اللغتين اللاتينية والعبرية .. وإلى عهد قريب كانت المؤلفات العربية تدرس فى الجامعات الأوربية ففى جامعة « مونبلييه » جنوب فرنسا كانت تدرس كتب الطب للعلماء المسلمين وفى كلية الفنون بجامعة باريس درست كتب الأخلاق النظرية والنظريات السياسية لعلماء بغداد وقرطبة ..

لقد كان المسلمون أسبق من « نيوتن » فى كشف قوانين الجاذبية ، وكان الإمام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال أسبق من « ديكارت » .

.. وقد فطن قدامة بن جعفر فى البصرة إلى كروية الأرض وقصر النهار فى القطبين .

وهدم عبد الحق بن سبعين المرسى ت ٦٦٩ هـ المنطق الأرسطى وحاول وضع منطق جديد على أساس العلوم الإسلامية ..

وذهب ابن مسكويه إلى أن الفضيلة الرئيسية هى الحب للجنس البشرى .

وذهب ابن خلدون فى مقدمته المشهورة التى تعد أول كتاب وضع فى علم الاجتماع إلى أن الإنتاج من عوامل تقدم الدولة وتحضرها .

وقد تبحر ابن ماجه الأندلسى (٥٨١ هـ) فى دراسة الفلسفة ونقض كثيرا من الآراء التى نادى بها الفلاسفة .

وألف ابن زهر الأندلسى ٥٩٥ هـ كتاب التيسير وهو أول كتاب طب

يتناول فن المحافظة على صحة الجسم ، وقد ترجم إلى اللاتينية عام ١٢٨١ م عن ترجمة عبرية .

وكان العلماء المسلمون يدعون إلى الجمع بين التخصص العلمى والثقافة العلمية . وإذا كانت أحدث نظريات الحياة اليوم أنها « احتراق » ، فإن الجاحظ قد سبق إلى ذلك منذ أكثر من عشرة قرون . يقول فى كتاب الحيوان :

« إنى وجدت الإنسان يحيا ويعيش حيث تحيا النار وتعيش وتموت وتتلف حيث يموت الإنسان ويتلف » .

ويعمد أصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على فتق فى الأرض ، أو مغارة فى أعماقها إلى شمعة فى طرفها أو فى رأسها نار فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا .. وقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى القول بالإستحسان ، أى ما يستحسنه العقل والإمام مالك إلى القول بالإستصلاح أى ما يتفق مع المصلحة العامة .

والطريف أن بعض الأوقاف الإسلامية فى فاس ، كانت مرصودة لعلاج الأمراض العقلية عن طريق الموسيقى .

فكانت الفرق الموسيقية تعزف ألحانها فى مستشفى الشيخ فرج بحى العطارين فى فاس[1].

أبعد ذلك يقال : إن الإسلام يتعارض مع العلم ..؟؟ إن هذا إلا إفتراء « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »[2].

(١) البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها د . محمد عبد المنعم خفاجة بتصرف .
(٢) سورة الكهف آية رقم ٥ .

الباب الثانى

الفصل الأول :

١ البحوث الجامعية .

٢ أنواع البحوث .

(أ) بحث الصفى .

(ب) بحث لنيل درجة « الماجستير » التخصص .

(جـ) بحث لنيل درجة « الدكتوراه » العالمية .

(د) بحوث أخرى متنوعة .

الفصل الثانى :

١ خطوات الباحث فى بحثه

(أ) اختيار موضوع البحث .

(ب) الخطة أو المشروع .

(جـ) المصادر .

(د) جمع المادة العلمية والبطاقات .

(هـ) صياغة البحث .

(و) خاتمة البحث .

الفصل الأول :

البحـــوث الجامعيـــة

تمهيد

البحث : طلب الحقيقة وتقصيها وإذاعتها بين الناس .

ومنه البحث : الطريقة التى يسير عليها دارس أو باحث ليصل فى النهاية إلى حقيقة فى موضوع من الموضوعات ، أو علم من العلوم يستوى فى ذلك .. التفسير والحديث ، والفقه ، والأدب والتاريخ وكل العلوم الإنسانية ، أو غير إنسانية ..

والبحث قسمان : علمى وأدبى :
فالبحث العلمى : مجاله البحوث العلميه .
والبحث الأدبى : مجاله الدراسات الأدبية وما يتصل بها ...

والجامعات : هى المكان الطبيعى للبحث ، ولا تزيد على غيرها من المدارس والمعاهد إلا بأنها بيئة للبحوث العلمية ، ومركز من مراكز تخريج الباحثين الأصلاء الموهوبين ، القادرين على النهوض بأعباء الحركة العلمية ..

فلا مكان فى الجامعة للتلقين الأجوف ، أو تقديم المعلومات مبعثرة مشتتة ، إنما هى الأبحاث الجادة . والجهد الكبير الذى يقوم به الأستاذ والطالب رغبة فى البحث عن الحقيقة والكشف عن الجديد المبتكر لإثراء الحياة وتعميقها داخل قاعات العلم وخارجها حيث دنيا الناس التى تتطلب كل نافع ومفيد ..

وإذا كان الطالب الجامعى هو اللبنة الأولى فى بناء صرح الجامعات أولا فهو فى النهاية المحاضر والأستاذ والموجه لإدارتها والذى يعمق مفاهيمها ويحيلها فى نهاية الأمر إلى دار علم وإيمان ومتندى بحث وعرفان . وإذا كان ذلك فالعمل فى الحقل الجامعى يتطلب دقة فى التفكير ونظافة فى السلوك .. ومواهب خاصة تتفرغ لهذا العمل الجليل الذى هو صناعة الرجال .. والأخذ بأيدى هؤلاء الطلاب وتيسير مهمتهم ووضع قواعد البحث بين أيديهم حتى تتمكن الجامعات من الاستفادة من هؤلاء الطلاب والإفادة بهم ..

أنــــواع البحــــوث

فى البحوث أو مجال التأليف بعامة حاول الأقدمون أن يحصروا أنواعه ويحددوا أبوابه حتى يخيل للباحث أنهم لم يتركوا لغيرهم مجالا للإضافة أو التزيد فقالوا :

.. يكتب الباحث فى شيء لم يسبق إليه فيخترعه .
أو شيء مغلق يشرحه .
أو شيء ناقص يتممه .
أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه .
أو شيء متفرق يجمعه .
أو شيء مختلط يرتبه .
أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه .

.. وهذا الحصر يكاد يكون جامعا مانعا كما يقول الأصوليون . إذا أضفنا إليه تحقيق المخطوطات .

والبحوث فى الحقل الجامعى كثيرة ومتشعبة .. ولكننا سنقصر حديثنا بمشيئة الله على البعض منها مما يتصل بدراستنا اتصالاً مباشرا .

(أ) البحث الصفى :

.. وهو بحث يطلب من الطالب فى سنوات الدراسة الجامعية ، ويختار له أستاذ متخصص عنوان البحث ، ويرشده إلى المصادر والمراجع التى تساعده على إتمامه ، ويكون غالبا فى حدود الـ ٥٠ صفحة أو أكثر قليلا .

والمقصود من هذا البحث العمل على تنمية مواهب الطالب ، ومحاولة تنظيم أفكاره وتدريبه على عرضها واضحة دقيقة ، ومساعدته على تقديمها إلى البيئة التى يعيش فيها بلغة سليمة مقبولة ، ثم إعداده لمرحلة أعلى تالية .. وفى كثير من الجامعات – العربية على وجه الخصوص – يكون البحث الصفى شكليا ولا يعنى به العناية الكافية ويكلف الأستاذ بالإشراف على عدد كبير من الطلاب .. الأمر الذى يستهلك وقته .. ويحول بينه وبين التوجيه الكامل لهم وإرشادهم وتتبعهم فى خطوات البحث ..

(ب) بحث لنيل درجة « الماجستير » التخصص ..

وهو إما دراسة مبتكرة فى موضوع من الموضوعات أو تحقيق مخطوطة لم يسبق تحقيقها ، أو حققت .. ولكن لا زال فيها بعض الجوانب التى تحتاج إلى تجليتها والكشف عنها ..

« ويشترط لكى تكون المخطوطة صالحة للحصول على درجة الماجستير ثلاثة شروط :

الأول : أن تكون المخطوطة غير محققة ، وهذه لها ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن تكون المخطوطة بكرا لم تحقق مطلقا .

الحالة الثانية : أن تكون منشورة وزعم صاحبها أنه حققها ، ولكن وجد فيها أخطاء كثيرة فمثل هذه يمكن أن يحققها الباحث لأن كثرة الأخطاء دليل على أن صاحبها لم يحققها .

الحالة الثالثة : أن يكون المخطوط قد نشره صاحبه ولم يزعم تحقيقه .

الثاني : أن تكون المخطوطة تستحق التحقيق والنشر فى مادتها العلمية وذلك لتضيف جديدا إلى مادة التخصص .

وهناك حالات لا يصلح المخطوط فيها للتقدم به لنيل درجة الماجستير :

١ - كونه جزءا من كتاب مطبوع كله .
٢ - كونه محض تلخيص لكتاب مطبوع كله .
٣ - كون مادته العلمية تافهة .
٤ - كون مادته العلمية مليئة بالأخطاء .

الثالث : الحجم : وذلك بأن يكون مناسبا ، ومعرفة كون الحجم مناسبا يكون بالنظر إلى المخطوطة[١].

---

(١) مذكرة « قاعة البحث » للدراسات العليا إعداد الدكتور محمد بلتاجى .

والمقصود من الماجستير أن يحصل الطالب على تجارب أوسع فى البحث والتحقيق تحت إشراف أحد الأساتذة المتخصصين .. لتكون هذه التجارب مساعدا له عند التحضير لرسالة الدكتوراه .

وتقضى غالب الأنظمة الجامعية أن تكون رسالة الماجستير فى حدود ٢٠٠ صفحة تقل أو تزيد قليلا حسب نوع البحث وميدانه ..

وتعتبر رسالة الماجستير فى النهاية امتحانا يعطى فكرة عن مواهب الطالب ومدى صلاحيته للتحضير لما بعدها ..

(حـ) بحث لنيل درجة « الدكتوراه » العالمية :

.. رسالة الدكتوراه لا تختلف كثيرا من حيث الشكل عن رسالة الماجستير :

١ - فهى إما بحث مبتكر عن موضوع لم يبحث بعد .
٢ - أو تحقيق مخطوطة يرى الطالب أنها تملأ فراغا فى المكتبة العربية .
٣ - أو تحقيق ودراسة لإحدى المخطوطات ..

.. وإذا كان من الشروط الواجب توافرها فى رسالة « الماجستير » أن تضيف جديدا إلى ميدان المعرفة والأنكار .

فإن رسالة الدكتوراه هى العمل الذى يثرى المعارف الإنسانية ويخدم

البشرية بما تقدمه من نظريات جديدة وأفكار مبتكرة تطور المعرفة وتدفع بها قدما إلى الأمام ..

.. وتعتمد رسالة الدكتوراه على مراجع أوسع ، وبراعة فى التحليل والتنظيم بعمق لتكون عنوانا لصاحبها وتدل على مدى استقلاله فى البحث ومقدرته على الإنتاج العلمى دون اسراف أو تقيد ..

ولقب « دكتور » فى الأصل : هو الذى يعلم علنا وأطلقه اليهود على الحبر الربانى أو « الحاخام » العالم بالشريعة .

وأطلقه المسيحيون على الذى يفسر الكتب المقدسة . ودخل اللقب الجامعات لأول مرة فى جامعة بولونيا ، فى القرن الثانى عشر ، ثم تبعتها جامعة باريس بعد قليل ، ثم بقية الجامعات الأخرى ..

وشعار « الدكتوراه » فى الجامعات هى الجبة (الروب) والخاتم والقبعة المربعة

إن كلمة « دكتوراه » اختراع ووضع يهودى .. وما أحرى المسلمين ألا يقلدوا هؤلاء اليهود .. وحبذا لو عادوا إلى ألقابهم العلمية الأصيلة .. والتزموا بها ألا يكون ذلك أجدر وأفضل ..؟

وهناك أبحاث أخرى غير ما ذكرنا منها :

[illegible] ٣٢

(أ) بحث لمؤتمر من المؤتمرات العلمية التى تعقدها الدول أو الجامعات أو الهيئات المتخصصة .

(ب) بحث لمجلة الكلية أو الجامعة .. بحث ينشر فى كتاب ويطرح للقراء ..

الفصل الثانى :

خطوات الباحث فى البحث

تكاد تنحصر الخطوات التى يتبعها الباحث فى إعداد بحثه فى الخطوات الآتية :

(أ) اختيار موضوع البحث ووضع العنوان له .

(ب) الخطة .

(حـ) المصادر .

(د) جمع المادة العلمية : البطاقات .

(هـ) صياغة البحث .

(و) خاتمة .

اختيار الموضوع ...

.. يجب على الطالب قبل اختيار الموضوع أن يتأكد من الموضوعات التى سبق بحثها .. حتى لا يختار موضوعا مكررا .. وكل جامعة تحتفظ بسجل للموضوعات المسجلة فيها .. وهى تنظر فى هذا السجل قبل أن توافق على الموضوعات المقدمة إليها من طلاب الماجستير والدكتوراه .. إلا إذا كان قد مضى على الموضوع الذى سبق بحثه أكثر من عشر سنوات .

واختيار الموضوع يكون بإحدى طرق ثلاث :

(أ) إما باستعادة الماضى العلمى واستعراض دراسته السابقة ، فيتذكر موضوعا من الموضوعات كان قد استهواه وتمنى أن يكتب عنه فى يوم من الأيام ..

(ب) وأما عن طريق البحث والدراسة الجادة ، فى بطون الكتب والأطلاع على دوائر المعارف والمراجع الأصيلة .

(حـ) أو بالرجوع إلى الأساتذة المتخصصين . حيث أن الكثير منهم لديهم موضوعات جادة .. تحتاج إلى من يجليها بالكتابة والبحث وتحول كثرة مشاغلهم العلمية وضيق وقتهم عن الكتابة فيها فيقدمونها إلى طلابهم النجباء ، ويكونون لهم خير معين ..

يقول الدكتور أحمد شلبى :

وإذا وجد الطالب من نفسه ميلا لدراسة موضوع ما وجب عليه قبل تسجيله والتقيد به أن يسأل نفسه الأسئلة الآتية :

(أ) هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد ..؟
(ب) أمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع ..؟
(حـ) أفى طاقتى أن أقوم بهذا العمل ..؟
(د) هل أحب هذا الموضوع وأميل اليه ..؟

فإذا كانت الإجابة بالنفى فى أى من هذه الأسئلة ، فليحاول البحث عن موضوع آخر .. دون أن يضيع وقته ونشاطه فى دراسة لم تكتمل له فيها

عناصر الموضوع .. وهناك شروط على الباحث أن يضعها فى حسابه عند اختياره لموضوعه منها :

١ - الدقة والوضوح .
٢ - الابتكار والجدة .
٣ - وفرة المصادر والمراجع .

والعنوان أحد المعالم البارزة للموضوع ، والواجب على الطالب أن يدقق فى اختياره ، لأنه الواجهة التى تقدمه للقراء ، والحافز الذى يدفع إلى قراءة البحث والاستفادة منه .

يقول الدكتور إبراهيم سلامة :

« العنوان كاللافتة ذات السهم الموضوعة فى أول الطريق ، لترشد السائرين حتى يصلوا إلى هدفهم ، فكذلك العنوان يجب أن يدل القارىء على فكرة صحيحة عما هو مقبل عليه ..

ويشترط فى العنوان ما يأتى :
(أ) ألا يكون طويلا مملا .
(ب) ولا قصيرا مخلا .
(جـ) ولا غامضا يدعو إلى الحيرة والتساؤل ..

الخطة أو مشروع البحث

الخطة :

هى الخطوط الأساسية التى يسير الباحث عليها فى بحثه ، أو هى الهيكل العظمى للموضوع . أو الصورة المصغرة لما سيكون عليه البحث بعد إتمامه أو قريبا منه .

وكما أن بناء أى منزل يبدأ المهندس فيه برسم مصغر له ، يحدد فيه أركانه ودعائمه وأقسامه ، ثم يبدأ البناء بعد ذلك تبعا للمشروع المخطط .. فكذلك البحث يبدأ الباحث فيه بوضع مشروع له أو منهج يسير عليه ، ليكون هذا المشروع دليلا له عند إعداده ..

.. ويشترط فى الخطة أن تكون مفصلة واضحة .. ويقسم صلب البحث إلى أبواب وفصول ، ويضع الباحث عنوانا واضحا لكل باب باعتباره يعالج جزئيات من البحث ..

وفى الغالب يقسم كل باب إلى عدد من الفصول ..

وعلى الأستاذ المشرف أن يرشد الطالب ، ويساعده فى اختيار عنوان البحث وتقسيمه إلى عدد من الأبواب والفصول .. إن كان البحث صفيا أو مرحليا .

أما إذا كان البحث خاصا بإعداد رسالة لنيل درجة « الماجستير » التخصص . أو « الدكتوراه » العالمية .

فعلى الطالب أن يتريث فى تقديم خطة البحث ، حتى يقرأ الكثير من الكتب ، ويتصفح العديد من المصادر والمراجع التى يرى أنها تناولت موضوع بحثه ، أو تعرضت لبعض جزئياته .. سواء كان هذا التعرض من قريب أو من بعيد ..

.. وتختلف خطط الأبحاث باختلاف مناهج الباحثين ، والموضوعات التى تبحث ، ومع ذلك فهناك خطوط أساسية لا يختلف باحث فيها عن آخر اختلافا جوهريا .. منها :

(أ) المقدمة ..

وفيها يحدد أهمية البحث وقيمة الكتابة حوله ، ويوضح ما بذل فيه من جهد .. وفى بعض الأحيان تكون المقدمة ملخصا أمينا لموضوع البحث ، أو كشافا يرشد القارىء للنقاط الأساسية فيه .. وكان المؤلفون القدماء يسمون المقدمة .. « خطبة الكتاب » .

(ب) التمهيد .. ويسمى المدخل .

(حـ) صميم البحث : ويشمل عددا من الأبواب والفصول ..

الباب الأول :

وغالبا ما يحتوى على الأفكار الأساسية فى البحث ، ويقسم إلى عدد من الفصول .

الباب الثانى :
ويتناول أيضا أحد الأفكار الرئيسية ويجزأ إلى عدد من الفصول . يعالج فى كل فصل من فصوله أحد موضوعات البحث .

الباب الثالث :
ويتناول أحد موضوعات البحث .

الباب الرابع : يتناول أحد موضوعات البحث وهكذا إلى نهاية البحث ..

(د) الخاتمة :

ويوضع فيها الجديد المبتكر الذى قدمه فى بحثه ، ولم يتطرق إليه الباحثون والدارسون من قبل .

ولا ينتهى العمل فى الخطة بمجرد إقرارها لأن هذا إن دل على شىء فإنما يدل على صورة مقبولة من صورها ، وما على الباحث إلا أن يعمل فيها بالتبديل والتحوير كلما تقدم فى بحثه حتى يصل إلى الصورة المرضية التى يقبلها المشرف ويوافق عليها المتخصصون فى هذا الميدان .

وسنحاول أن نقدم بعض النماذج من خطط بعض الأبحاث .. التى حصل بها على درجة علمية أو نشرت فى كتاب ..

نماذج من الخطة

(١)

البحث : أسباب اختلاف الفقهاء .

الباحث : الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي .

هذا البحث مكون من تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

- مقدمـــة .
- التمهيد فى بيان المباحث التالية .
  - اختلاف الآراء ظاهرة طبيعية .
  - فكرة تاريخية عن الاختلاف .
  - ما يجرى فيه الاختلاف وذكر مجمل أنواع الاختلاف .
  - آراء العلماء فى الاختلاف .
  - أسباب عدم الاعتداد بالخلاف فى بعض المسائل .
  - اختلاف المذاهب والتعصب .
  - فائدة معرفة أسباب الاختلاف .
  - آثار الخلافات السيئة .

الباب الأول

فى مسائل من المبادىء الفقهية ، كان الاختلاف فيها سببا فى الاختلاف فى الفروع .

الباب الثانى

بعض مسائل الأدلة التى كان الاختلاف فيها سببا فى الاختلاف فى الفروع .

الباب الثالث

بعض أسباب الاختلاف الراجعة إلى دلالة النصوص .

الباب الرابع

فى التعارض والترجيح ..

الخاتمة : فى موقف المسلمين من الاختلاف والحث على الاعتصام .. بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم .

(٢)

البحث : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية .

الباحث : محمد عبد الرحمن الراوى .

مقدمة

الحاجة إلى الدعوة الإسلامية والملابسات التى تقف فى طريقها ..

الباب الأول

التعريف بالإسلام وروحه العالمية .

ويشـــمل :

١ - ما الدعوة الإسلامية ..؟

٢ - وهل تصلح لأن تكون عالمية ..؟

الباب الثانى

عموم الدعوة الإسلامية . ومن وحى الفطرة - وهى حقيقة القرآن وشخص الرسول .. ويشمل :

١ - معنى كلمة الإسلام وورودها على ألسنة الرسل .

٢ - الإسلام فطرة لازمت الإنسان من بدايته .

٣ - القرآن الكريم تنزيل رب العالمين .

٤ - الرسول الكريم أكمل دليل على أن دعوة الإسلام للعالمين .

الباب الثالث

العالمية فى الدعوة الإسلامية سارية فى فرائض الإسلام وتعاليمه ويشمل :

١ - الإيمان بالله واليوم الآخر .

٢ - الصلاة .

٣ - الزكاة .

٤ - الصوم .

٥ - الحج .
٦ - الأخلاق والآداب .

الباب الرابع

الطابع العالمى فى علاج الإسلام للمشاكل الفردية والجماعية ويشمل :
١ - الإسلام والفرد .
٢ - الإسلام والمجتمع .
٣ - الإسلام والعلم .
٤ - الإسلام والعلاقات الدولية .
٥ - الإسلام فى مجال التطبيق .

الباب الخامس

حاجة الإنسان إلى هذه الدعوة .
ويشمل :
١ - هل يمكن للإنسانية أن تحيا آمنة بدونها .
٢ - وهل أوفت الأنظمة القائمة بحاجة الإنسانية ..؟
٣ - التجربة أقوم دليل .

المصادر والمراجع

إذا وفق الله سبحانه وتعالى الباحث فى تخطيط بحثه وقدم مشروعه ثم موافقة على قبوله ، كان عليه أن يتعرف على المصادر والمراجع المتصلة بالبحث مبوبا حسب أهميتها ، وقربها من الموضوع الذى يدرسه ، وذلك كالآتى :

(ا) التعرف على المصادر القديمة التى تجلى الغامض من الموضوعات وتتيح للباحث تتبع أصل العقائد والأفكار والنظريات .

(ب) أن يفتش فى المخطوطات ويتعرف على الكثير منها مما له اتصال بموضوع البحث ، وكثير من المتخصصين يقدرون الطالب بمقدار تعرفه على هذه الكنوز الثمينة التى تحويها دور الكتب العربية ومكتباتها .

(جـ) واذا كانت المصادر القديمة والمخطوطات لا يستغنى عنها طالب بحث .. فإن المصادر الحديثة والنظريات المبتكرة وآخر ما توصل إليه العلماء فى هذا الموضوع لا يقل أهمية عما سبق .

(د) أن يتعرف على الوثائق الرسمية المطبوعة والمخطوطة ، وأن يدرس القرآن

الكريم دراسة واعية ، وأن يتعرف على علومه وعلى الحديث والموسوعات التاريخية . ودوائر المعارف وكتب الفقه ، ومصادر الملل والنحل .. وكل ما يرى أنه يخدم بحثه ويضيف إليه جديدا ..

ولقد أضفنا فى نهاية البحث دراسة خاصة عن المصادر والمراجع بأنواعها وكيفية استعمالها ، والأستفادة منها .

جمع المادة العلمية ..

عملية الجمع أدق مراحل البحث .. أو هى المرحلة الجادة التى تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت ..

وجمع المادة العلمية فن يرتبط بالقراءة ، وبالسماع . وبالملاحظة والتجربة .

(أ) القراءة :

إذا عرف الباحث ما يقرأ وما يدع سهلت عليه هذه المرحلة واستطاع أن يتمم بحثه فى المدة المحددة للانتهاء منه ، وتكون باتباع الآتى :

١ - القراءة السريعة لاكتشاف ما يتصل بموضوع البحث فى دوائر المعارف العالمية .

٢ - قصر القراءة فى هذه الفترة - على المراجع والمصادر المتصلة بموضوع البحث .

٣ – الاعتماد على الفهارس الحديثة فى المكتبات ودور الكتب .

٤ – تنظيم أوقات النشاط الذهنىُ ليتسنى له فهم ما يقرأ ولأن إجادة القراءة تختصر الجهد والوقت .

٥ – قراءة الأبحاث الجديدة التى تنشر بمجلات تعنى بمثل دراسته وسيجد طالب الدراسات الإسلامية مقالات ذات قيمة مع مراجعها التى ينشدها ودبجتها براعة كبار الباحثين مثل :

١ – مجلة البحوث الإسلامية التى تصدرها رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ..

٢ – الدارة : وهى مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز .

٣ – مجلة كلية الآداب : تصدرها كلية الآداب جامعة القاهرة بمصر .

٤ – مجلة المعهد العلمى العربى .. تصدر بدمشق .

٥ – مجلة الأزهر : تصدر عن إدارة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة – مصر ..

٦ – مجلة معهد المخطوطات العربية : تصدر عن جامعة الدول العربية القاهرة – مصر .

٧ - مجلة التضامن الإسلامى : مجلة شهرية تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة .

(ب) : السماع :

يقول الدكتور أحمد شلبى : على الطالب أن يتحدث مع من له خبرة بهذه الدراسة فأغلب الظن أنه سيرشده إلى بعض المراجع[1] ، والحقيقة أن السماع ومناقشة الأساتذة المتخصصين فى موضوع البحث سيضيف إليه الكثير من المعلومات .. وهى سنة طيبة كانت متبعة مع علماء المسلمين الكبار ومع طلابهم .. حتى أن بعض المؤلفين وضع لها شروطا وقواعد ، والأزهر معقل العلوم الإنسانية من ألف عام كان شيوخه وطلابه يتبعون قاعدة السماع ، ولا زالت باقية إلى الآن ..

وقاعدة السماع تسمى فى منهج البحث الحديث « الاستبيانات » وتنقسم إلى قسمين :

(أ) الاستبيانات المكتبية :

وهى عبارة عن إعداد قائمة من الأسئلة التى تتصل بموضوع البحث وتوزيعها على مجموعة من العلماء ممن لهم خبرة ودراية بموضوع البحث - عن طريق البريد - ويطلب منهم الإجابة عليها .. وهى طريقة وجه إليها كثير من النقد .

---

(١) كيف تكتب بحثا أو رسالة دكتور أحمد شلبى ص ٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

(ب) الاستبيانات الشفوية :

وهى عبارة عن إعداد قائمة بالأسئلة التى تتصل بموضوع البحث وعرضها على العلماء والأساتذة الكبار عن طريق المقابلة الشخصية ، وهذه الطريقة أسلم من الطريقة المكتبية ، حيث أن الباحث يشرح الأسئلة غير الواضحة ويتلقى الآراء والمعلومات مشافهة ، وهى طريقة يلجأ إليها كل باحث مع رؤساء الأقسام ومع الأساتذة المشرفين ومع أمناء المكتبات ودور الكتب وكثيرا ما يخرج من هذه المقابلات بالجليل المفيد الذى يساهم مساهمة فعالة فى إعداد بحثه .

الملاحظة والتجربة :

.. عرف بعضهم الملاحظة : بأنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما . وتنحصر فى أن يوجه حواسه وعقله إلى طائفة خاصة من الظواهر ؛ لا لمجرد مشاهدتها ؛ بل لمعرفة صفاتها وخواصها .

ومن الظواهر التى تنتشر كثيرا فى بلاد المسلمين ما يأتى :
(أ) لماذا يفر حكام المسلمين من تطبيق شريعة الله ..؟
ألأنهم يخافون على أنفسهم لانحرافهم ؟
ألأنهم ينفذون مخطط الاستعمار ؟
ألأنهم يسايرون العصر ..؟
ألأنهم يحرصون على شعور الأقلية فى بلادهم ..؟
أم أنهم يقعون تحت تأثيرات معينة ..؟
وهدف الملاحظة :

الكشف عن بعض الحقائق التى يمكن استخدامها لاستنباط معرفة جديدة ، وتختلف الملاحظة باختلاف الأفراد . لأنه لما كانت القدرة على الابتكار عند البشر متفاوتة . كان من الطبيعى أن يتدخل العقل بدرجات متفاوتة فى عملية الملاحظة . فإذا كان نصيبه ضئيلا كانت الملاحظة فجة ، وإذا كان تدخله مثمرا وفعالا كانت الملاحظة علمية ومفيدة .

والتجربة :

الدلالة على الخبرة التى يكتسبها العالم بتصحيح آرائه ونظرياته العلمية دون انقطاع ، حتى يوفق بينها وبين الكشوف الجديدة لكى يزداد قربا من الحقيقة ولقد كان للملاحظة والتجربة آثارها الكبيرة فى إثراء الفقه الإسلامى ومسايرته لمختلف العصور ..

وهل كان يمكن لنا أن نشاهد ما سجله الإمام الشافعى فى فقهه من آراء جديدة مبتكرة إلا بعد الملاحظة والتجربة الجديدة التى عاشها فى مصر ..؟ وإذا كان للملاحظة والتجربة دورهما الإيجابى فى مجال البحوث العلمية فلا شك أن دورهما أكثر إيجابية فى البحوث الإنسانية والدينية ..

البطاقات أو دوسيه المعلومات ...

إذا فرغ الطالب من إعداد خطة البحث ، وتمت الموافقة عليها ، ووفقه الله فى جمع المصادر والمراجع اللازمة لبحثه ، وانتهى من تبويبها وترتيبها حسب أولوياتها بالنسبة لأبواب البحث ، أخذ فى إعداد الدوسية أو البطاقات ليسجل فيها المادة العلمية التى يعثر عليها .

والبطاقات : عبارة عن مجموعة من الأوراق المتساوية الحجم ويحدد بعضهم مساحتها بما يعادل ١٠ × ١٤ سم ، وتستعمل البطاقات ليدون عليها الباحث عند قراءته للمراجع والمصادر وملاحظته واقتباساته ، والنصوص التى يحتاج إليها فى بحثه .

وهذه البطاقات تباع غالبا فى المكتبات العامة ، أو يعدها الباحث بنفسه أو تعد له ، وتكتب على جانب البطاقة البيانات التالية ..

(أ) اسم الكتاب .. المصدر .
(ب) اسم المؤلف أو المحقق .
(جـ) مكان الطبع وتاريخه .
(د) الجزء – الصفحة .

.. ويشترط فى البطاقات أن تكون من حجم واحد .. بينما يرى البعض أن تتفاوت فى الحجم ، ليخصص لكل باب أو فصل حجم معين .

وكذلك بالنسبة للون يرى بعض الباحثين أن تكون من لون واحد بينما يرى بعض الآخر أن تكون متعددة الألوان ليتمكن من تمييز بطاقات كل جزء من أجزاء البحث بسهولة وتلك مسألة يقررها الباحث نفسه حسب ما يرى أن ذلك أيسر له ويوفر عليه جهده ووقته ..

الدوسيه : عبارة عن غلاف من الورق المقوى بداخله قابضان أو مسكتان تفتحان وتغلقان بسهولة ، ويوضع بداخله مجموعة كبيرة من الأوراق المثقوبة من طرفيها لتثبت داخل المقبض .

ويقسم الباحث عادة الدوسيه على حسب خطة المقدمة منه والتي سبق الموافقة عليها ويخصص جزءاً للمقدمة ... ثم ... بعدها ... وما ... يقسم حسب أبواب وفصول البحث ، ويجعل في النهاية بعض الأوراق احتياطي لما قد يجد له من فصول وأبواب جديدة ..

ويخصص القسم الأخير من الدوسيه للمراجع والمصادر ... ويبدأ الطالب قراءته وكلما عثر على نقطة تتعلق بموضوعه كتبها في القسم الخاص بها من الدوسيه ويكتب على وجه واحد من الورقة . ولا يكتب على الصفحة الواحدة إلا معلومات متصلة تمام الإتصال .. وكذلك أيضاً يتبع هذا النظام في إعداد البطاقات .

ويفضل المحدثون من الباحثين استعمال هذا الدوسيه ويرون أنه أفضل من نظام البطاقات للأسباب الآتية :

١ - يسيطر الطالب على موضوعه وهو في الدوسيه أكثر مما يسيطر عليه وهو في بطاقات وأظرف .

٢ - الدوسيه يحفظ ما به من أوراق . أما البطاقات فقد يفقد بعضها .

٣ - إذا أراد الطالب أن يراجع اقتباس ما يضيف إليه أو يعلق عليه كان من السهل أن يجده بالدوسيه في القسم الخاص به . أما في البطاقات فيضيع جهداً كبيراً في فرز البطاقات للوصول إليه

٤ - كثيراً ما يقابل الطالب خلال قراءته نقطة معينة ثم يستكشف فيما بعد

كان قد سجلها من قبل أم لا ، ففى حالة الدوسيه يمكنه التحقق من ذلك من غير كبير عناء لأنه يحمله بما فيه من مادة فضلا عن سهولة الكشف به على ما مر أما البطاقات فمع صعوبة الكشف بها فإن الطالب لا يحملها معه من مكان إلى آخر[1].

وإذا كانت المدرسة الحديثة تفعل ذلك .. فإن المدرسة القديمة لها حججها أيضا فى تفضيل البطاقات .. وترى أنها خير وسيلة لجمع المعلومات للأسباب الآتية :

(أ) البطاقات أكثر دقة وأيسر فى التصنيف .

(ب) والبطاقات أنفع لدى استعمال المعلومات وأدوم فى إمكان الرجوع إليها .

(جـ) وأيضا يمكن الاستفادة بها فى مجال آخر عند اللزوم ..

وهذه مسائل ترجع إلى الباحث نفسه ويستطيع أن يقرر بعد التجربة فى هذا المجال عما إذا كان الأيسر له البطاقات أم استعمال الدوسيه .

(١) كيف تكتب بحثا أو رسالة دكتور أحمد شلبى ص ٥٧ بتصرف

صياغة البحث

إذا انتهى الباحث من جمع المادة ، وأثبتها فى البطاقات أو الدوسيه كان عليه مهمة الإعداد لصياغة البحث .

.. والحقيقة أن هذه الخطوة هى أهم خطوات البحث التى تبرز فيها شخصية الباحث ، ومدى استيعابه للمادة التى جمعها . وعلى الباحث أن يتبع الخطوات الآتية عند الصياغة ، ووضع البحث فى صورته النهائية .

١ – أن يجمع أمامه المادة الخاصة بالموضوع الذى يكتب عنه .. سواء كانت المادة موضوعة فى بطاقات أو دوسيه .. ثم يعيد قراءتها بعد ترتيبها حسب جزئيات البحث أو تبعا للخطة السابقة .. أو ما حدث فيها من تعديل .

٢ – إذا تناول قلمه وأخذ فى الكتابة عليه أن يلاحظ سلاسة الأسلوب وسهولته فهو الإطار الذى يضع فيه أفكاره .

٣ – أن يقدم الحقائق واضحة مركزة .. وألا يدخل بفكرته فى معميات أو ألغاز ..

٤ – أن يروض نفسه عند الكتابة على الحذف والزيادة أو الأختصار فيما كتب حسب رأى الأستاذ المشرف ، الذى غالبا ما يكون كالجراح الماهر الذى يضع مبضعه على الجزء العليل فيبتره .. أو يزيل ما به من أوجاع .

٥ – أن يفتتح الباحث الفصل الذى يكتبه بمقدمة أو ملخص لا يزيد فى الغالب عن أربعة أسطر .. ليدل الباحث على خطته فى الكتابة ثم بعد الانتهاء من المقدمة يشرع فى صلب الموضوع .

٦ – إذا انتهى من كتابة أحد الفصول ختمه بفقرة تبين أهم ما وصل إليه من نتائج ومشيراً إلى ما يأتى بعد ذلك إلى حقائق الفصل الذى يليه ..

٧ – يرى بعض الباحثين ألا تزيد الفقرات المنقولة عن سطرين أو ثلاثة إلا إذا كانت وثيقة أو نصا كاملا – لأن النقل أو الترجمة من كتب الغير لا يستحق الباحث عليهما كثيرا من التقدير .

٨ – على الباحث أن تكون شخصيته ورأيه واضحا فى كل ما يقول .

٩ – أن يحترم آراء الآخرين ، ويقدر وجهات نظرهم – على ألا يصدق كل ما يقولونه ، وأن يعف عن الكلمات الجارحة أو الخارجة التى لا تليق بالعلماء والمفكرين .

١٠ – الباحث مطالب بتحمل مسئولية كل ما يثبته فى بحثه ، حتى وإن كان متابعا فيه لمفكر كبير أو مشهور ، فإن ذلك لا يعفيه من المسئولية مادام يصطدم مع واقع الناس ، أو التفكير العلمى المنظم .

١١ - يتجنب الباحث تكرار المعانى أو أن يتناول نقطة بالحديث فى أكثر من موضع .

١٢ - إذا استعمل الكلمات المعاصرة الواضحة ، فيجب أن تكون مطابقة لقواعد اللغة ، ويبتعد بقدر الإمكان عن الكلمات العربية التى تحتاج إلى معجم لمعرفة معناها .

١٣ - أن يتجنب الجدال فى بحثه فهذا أبعد عن الروح العلمية .. فإذا كان ولابد فليفعل ذلك بأدب وعدل وليبتعد عن الهوى ..

١٤ - يجوز للباحث عند صياغته للبحث أن يحذف من الفقرة التى يقتبسها كلمة أو جملة لا يحتاج إليها فى بحثه على ألا يضر الحذف المعنى الذى يريده الكاتب الأصلى ويضع مكان الكلمة المحذوفة نقطا أفقية فإذا أراد أن يضيف بعض الكلمات إلى النص وضع هذه الزيادة داخل علامتين (   ) حتى يعرف القارىء أن هذه الزيادة من وضع الباحث وليست من أصل النص .

وهناك صفات وشروط يجب أن تتوافر فى البحث ونرى أن نضيف بعضها إلى هذه المذكرة .. ليكون أبناؤنا الطلاب على بينة من الأمر وهذه الصفات يمكن اكتسابها بالمران والدربة وكل إنسان فى مقدوره أن يتصف بها وما أصدق الشاعر العربى عندما قال :

ولم أر فى عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

الصفات التي يجب توافرها في الباحث

.. سؤال يدور بخلد الذين يتعرضون لدراسة البحوث ويفرض نفسه عليهم وهو

هل فى مقدور أى إنسان أن يكون باحثا ..؟

أم أن هناك صفات وقواعد يجب توافرها فى الباحث قبل دخوله إلى هذا الميدان ..؟

وإذا كان ذلك كذلك فما هى الصفات أو القواعد ..؟

وقبل الإجابة على هذا يجب أن نعيد هنا مرة أخرى ما سبق أن قلناه فى تعريف البحث والباحث .

لقد قلنا : بأن البحث هو كشف عن حقيقة ما ، والباحث رجل يفتش عن هذه الحقيقة سواء أكان ذلك فى مجال العلوم النظرية أو التطبيقية أو فى أى ميدان من ميادين النشاط الإنسانى .

والحقيقة : كثيرا ما تحجبها عن العيون عوامل الزمن ، وظروف البيئة واختلاف الطبائع،أو مجاراة الأهواء،والرغبة فى التملك،أو الوصول إلى مجد زائف .

.. من هنا نرى ويشاركنا فى رأينا هذا كثير من رجال الفكر .. وهو أن الباحث يجب أن تتوافر فيه مجموعة من الصفات ..

ولقد ذكر بعضهم الكثير من هذه الصفات وحصرها البعض الآخر فى إحدى عشرة صفة ، وتقضى الأمانة العلمية أن نشير إلى أهمها مما نعتقد أنه يغنى عن بقيتها منعا من الإسهاب ، والتزاما بالخط الذى أخذنا أنفسنا به فى هذه المذكرة ؛ ألا وهو الإيجاز والتركيز . فمن هذه الصفات :

١ - الرغبة : لابد من توافر الرغبة لدى الباحث فى العمل الذى يحس بأنه سيقوم به ، أما اذا كان الباحث غير راغب فى العمل فإن هذا سيكون مدعاة لاستنفاد الكثير من الوقت والجهد بلا فائدة .

٢ - الصبر : يجب أن تصحب الرغبة فى العمل الصبر والصمود حتى يتحمل مشاق البحث والتفتيش والجرى بحثا عن المصادر والمراجع وجمع المعلومات ..

٣ - الحافظة والذاكرة القوية : حتى يتذكر الباحث ما قرأه بالأمس فيربطه بما قرأه اليوم ، ويجمع بين ما قرأه فى كتاب قديم وما اكتشفه فى مجلة حديثة .

٤ - الشك والتثبيت : قالت العرب قديما : سوء الظن من حسن الفطن وسوء الظن يجعل الباحث لا يقبل كل ما يقرأه على أنه قضية مسلمة ، بل لابد من أن يعمل فيه نظره ، ويقلب فيه فكره ويزنه بميزان دقيق من الحنكة والفطنة .. والشك العلمى مظهر حضارى لم يصل الإنسان إليه إلا بعد أن قطع أشواطا

من المعرفة وسار طويلا فى طريق العقل .

الشك العلمى ضرورة بخلاف الشك المرضى الذى تدفع إليه النزوة العارضة أو الرغبة فى مخالفة المألوف .

د - الإنصاف والموضوعية : الإنصاف قرين العدل ، والعدل يقتضى أن تتجرد من الهوى ، ومن الرغبة فى التشهير ، أو قلب الحقائق من أجل نزعة تسيطر على النفس ولقد اشترط المسلمون - وكان هذا أحد روائعهم التى بهرت العالم - العدل فى المحدث ، والعدل فى الراوى وفى المؤرخ كما اشترطوه فى الحاكم والشاهد .

٦ - الأمانة : والأمانة لدى الباحث أن ينقل رأى غيره فى دقة وينسبه إلى صاحبه صراحة ، والأمانة شرط فى مناقشة آراء الآخرين .

والباحث المنصف يرتفع بالمناقشة أن تكون منافسة أو مباراة فيغالط ويحرف ويعمد إلى الكذب حينا والعبث بالنصوص حينا آخر والسفسطة كلما أتيحت له الفرصة .

٧ - العقلية التنظيمية البناءة : من الصفات التى يجب توافرها فى الباحث العقلية التنظيمية بحيث تكون ذا مقدرة على تبويب الأشياء وتوحيد أجزائها ووضع كل منها فى مكانها المناسب .

إن الباحث فى بحثه يبنى عملا وينشىء فكرا ، كما يبنى غيره من المواد الخام منزلا فعليه أن يكون مهندسا حاذقا ليجىء عمله متناسقا من غير زيادة

هنا أو نقصان هناك وبدون اضطراب أو تفكك .

هذه أهم الصفات التى يجب أن تتوافر فى الباحث ، وكل إنسان يستطيع أن يصطنعها لنفسه إذ لم تكن موجودة فيه مادامت النية صادقة والإرادة قوية وإلا فعليه أن يبحث لنفسه عن ميدان آخر غير ميدان الفكر والبحث ..

لقد قام المستشرقون بعمل جليل بالنسبة إلى التراث العربى ، يدل على كفاح وجهد لا يصدر إلا من عمالقة الرجال ، لولا التعصب الذميم والحقد الدفين الذى يملأ قلوبهم بالنسبة للإسلام وأهله الأمر الذى حدا بهم إلى الدس فى كتاباتهم ، وإضافة الافتراءات ، واختلاق الأكاذيب .

..... وما أقدر أتباع الإسلام فى عصرنا الراهن على عرض وجهه نظرهم إلى العالم أجمع ناصعة صادقة مبدعة ، من خلال عقيدتهم وإيمانهم .

وبعد فهناك ملاحق يجب أن يضيفها الباحث إلى بحثه رأينا أن نلحقها بالباب الذى خصصناه للعمل فى المخطوطات .. وهى :

١ – الفهارس .
٢ – الألفاظ المختصرة .
٣ – الترقيم .
٤ – ثبت بالمراجع .
٥ – المقدمة .
٦ – الخاتمة .

فلتطلب هناك .. والله الموفق .

الباب الثالث

المخطوطات

الفصل الأول :

(أ) مقدمة .

(ب) المخطوطات وقيمة التراث .

(جـ) دليل العمل فى المخطوطات .

(د) جمع النسخ

(هـ) ترتيب النسخ .

الفصل الثانى :

(أ) العمل فى تحقيق النص .

(ب) تقسيم المخطوط وترقيمه .

(جـ) الفهارس .

(د) ثبت بالمراجع .

(هـ) الألفاظ المختصرة فى المخطوطات

(و) علامات الترقيم

الباب الثالث

المخطوطات

الفصل الأول

[illegible] (أ)

[illegible] (ب)

[illegible] (ج)

[illegible] (د)

[illegible] (هـ)

الفصل الثاني

[illegible] (أ)

[illegible] (ب)

[illegible] (ج)

[illegible] (د)

[illegible] (هـ)

[illegible] (و)

مقـدّمة

المخطوطات

هى كتب لم يتم طبعها بعد ولا تزال بخط المؤلف أو غيره ، أو أخذت عنها صور « فوتوغرافية » لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة ، التى تحرص على اقتناء المخطوط .

ومعظم هذه المخطوطات نادر الوجود ، وقد يفقد الكثير منها أو تضيع بعض أجزائه الهامة لسوء الحالة الاقتصادية فى عصر من العصور ، أو انتشار المجاعات والأوبئة ؛ فى العصر الذى وضعت فيه تلك المؤلفات ..

كذلك قد توجد بعض صفحات المخطوط متآكلة بفعل الزمن أو رداءة المكان المحفوظة فيه ، ولذا تستعمل نظارات خاصة لقراءتها .

وقد أصبح استخدام المخطوطات فى البحوث العلمية شائعا وبخاصة أن كثيرا من الكتب الهامة لم ينشر بعد ، ولذ لا يكون البحث عميقا دون استخدام المخطوطات ..

المخطوطات وكتب التراث ..

... الأمة العربية بعامة والإسلامية على وجه الخصوص ، لها تراث ضخم وكنوز غالية من مؤلفات علماء أجلاء ، تربوا فى مدرسة القرآن ، ونهلوا من ينابيع السنة المحمدية ، ثم كتبوا تلك المؤلفات العظيمة فى كل علم وفن .

... وكان لهذه المؤلفات الدور الكبير فى إقامة صرح الحضارة والمدنية فى ربوع بلادهم ، وإثراء حياتهم فى فترة غالية من فترات التاريخ .

... ولقد تطلع الغرب إلى تلك الكنوز واستطاع فى فترات الضعف التى أصابت المسلمين أن يستولى على الكثير منها ، وينقلها إلى بلاده ، بغية الاستفادة منها ، وعكف عليها رجال منهم ، وهبوا نفوسهم للعلم والمعرفة .. فكانت نتيجة ذلك التطور العظيم الذى نلمسه فى كثير من ميادين الحياة عندهم .

... وبمقدار تقدم الغرب لاقتباسه من تلك المعارف واستفادته من تلك الكنوز ، تخلف المسلمون لإهمالهم هذه الثروة التى كانت بين أيديهم .

... ومع ذلك فلا زالت مكتبات المسلمين تحوى الكثير من كتب التراث والمخطوطات التى تركها الأجداد للأحفاد .. تنتظر الهمة العالية والعزيمة الوثابة من بعض أبنائها ، لإخراجها إلى حيز الوجود ..

... والأمم الناهضة تهتم بتراثها وتحافظ عليه ، وتحاول جاهدة أن تبرزه إلى النور ليكون قاعدة لما يأتى بعده من بناء ..

وقد تنبه المسؤولون فى البلاد العربية إلى أهمية تراثنا المخطوط فأنشأوا مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية باسم معهد إحياء المخطوطات مهمتها حفظ هذا التراث من الضياع . ونقل صور من المخطوطات التى خرجت من أيدينا إلى البلاد الأجنبية ، وحفظها فى خزائن المعهد ، ويقوم المعهد بين حين وآخر

بإرسال مندوبين متخصصين إلى بعض المكتبات الأجنبية التى تضم فى خزائنها مخطوطات عربية فتصور بعضها ، ثم تحفظ الأفلام فى خزائن المعهد ، ومن ثم يستطيع المرء أن يطلع على ما يريد من تلك الأفلام ويقرأ ما يناسبه منها بواسطة جهاز مكبر ، كما يستطيع أن يحصل على صورة مكبرة عن بعضها .. ومركز معهد إحياء المخطوطات فى مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، وقد أصدر فهرسا مطبوعا لبعض المصورات المحفوظة فى خزائنه .

... ومن المهام التى تقوم بها الجامعات تشجيع طلابها والباحثين من أبنائها للعمل فى المخطوطات .. ويرحب أن تكون رسائلهم عن الماجستير والدكتوراه كتبا مخطوطة من كتب التراث .

... وترى الجامعات – على اختلاف مناهجها – أن إبراز مخطوطة إلى الوجود لا يقل أهمية عن كتابة بحث جديد مبتكر ..

وللعمل فى المخطوطات قواعد وأصول يجب مراعاتها والالتزام بها .. وسنحاول فى تلك الصحائف أن نقدم صورة مختصرة ، كدليل عمل فى المخطوطات ولكنها فى نفس الوقت كافية لمن يريد أن يطرق هذا الميدان .. ليعمل على إحياء تراث أمته ونقدمه كنوز للأحفاد من الأجداد

دليل العمل فى المخطوطات ..

١ – الجمع : إذا أراد باحث أن يقوم بتحقيق كتاب مخطوط .. فمن أولى الخطوات التى يجب عملها فى هذا الميدان أن يحاول جاهدا جمع النسخ الخطية لهذا الكتاب وهناك عدة طرق لذلك :

(أ) أن يتعرف على فهارس المخطوطات الموجودة فى المكتبات العامة ودور الكتب العربية .. والأجنبية .

(ب) البحث فى المكتبات الخاصة عن نسخة أيضا .

فإذا تم جمع النسخ الموجودة من أماكنها المختلفة أو قام بتصويرها عندها تبدأ خطوة أخرى .. هى ..

٢ – الترتيب : وذلك بأن يعمل الباحث على ترتيب ما جمعه من نسخ المخطوطة على الوجه التالى :

(أ) إذا عثر على نسخة كتبت بخط المؤلف اعتبرت هذه النسخة هى الأصل الذى يعتمد على نشر كتابه ..

(ب) وتأتى بعد النسخة التى كتبت بخط المؤلف النسخة التى قرأها المؤلف أو قرئت عليه وأمر بإجازتها ..

(حـ) ثم تأتى بعد ذلك النسخة التى نقلت عن نسخة المؤلف .

(د) ثم النسخ التى كتبت فى عصر المؤلف .

(و) وبعدها تأتى النسخ التي كتبت بعد ذلك ، يقدم الأقدم فالأقدم ،

لأنه كلما بعدت النسخ عن عصر المؤلف كلما زادت الأخطاء وكثر التحريف .

وكثيرا ما توجد نسخ خطية ليس عليها تاريخ يمكن الاعتماد عليه عند عملية الترتيب . ولكن يمكن تحديد تاريخها بواسطة الخط الذى كتبت به .. فإن لكل عصر من العصور نوعا من الخط يكاد يعرف به .. وكثيرا ما نجد فى دور الكتب والمكتبات الكبيرة متخصصين فى كشف الخطوط ومعرفة تواريخها ، ويكفى أن ينظر الخبير فى المخطوطة حتى يستطيع أن يحدد بسهولة العصر الذى كتبت فيه ..

.. وإذا كنا نشجع الباحثين على إحياء ونشر المخطوطات .. فإن العلماء يشترطون فى المخطوطة التى تحقق وتنشر أن يوجد لها أكثر من نسخة ولا يوافقون على نشر مخطوطة من نسخة واحدة ؛ إلا فى الحالات القصوى كشدة الحاجة إليها .. وعدم العثور على نسخ أخرى .

فاذا انتهى الباحث أو الطالب من جمع النسخ وترتيبها يبدأ عمله فى النص .

الفصل الثانى :

العمل فى تحقيق النص

يبدأ الباحث عمله فى تحقيق النص بعدة خطوات أهمها :

١ - أن يتأكد الباحث من صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه الذى وضع اسمه عليه .. ومن صحة الإسم أيضا ..

٢ - إن كان النص من وضع المؤلف تركه كما هو ، وإن كان أخذ نصوصا من غيره أشار إليها فى الهامش ، ودل على أمكانها فى المصادر التى أخذ منها ..

٣ - إذا كان هناك أكثر من نسخة عثر عليها الباحث .. فإن كان من بينها نسخة بخط المؤلف جعلها هى الأصل ، ويرمز إلى بقية النسخ الأخرى بحروف الهجاء أ ـــ ب ـــ جـ ـــ د . ليثبت اختلاف النسخ عند المراجعة .

٤ - إذا وجدت زيادات فى النسخ الفرعية لا توجد فى النسخة الأصلية أضيفت إليها ونبه على ذلك فى الهامش .. برقم الجزء والصفحة .

٥ - .. يجوز أن يضيف إلى النص كلمة أو حرفا سقط من المتن ، ويضعه بين قوسين وقد فعل ذلك علماء الحديث ..

٦ – قد يكون فى بعض المخطوطات أكلة أرضية ، تضيع معها بعض الكلمات ... فإذا كان لهذه المخطوطة نسخة أخرى رجع إليها لمعرفة ما أكلته الأرض ، وإلا ترك مكانه بياضا بمقدار ما نقص ويشير إلى ذلك ..

٧ – الآيات القرآنية بوضع رقم الآية واسم السورة .

٨ – فى الأحاديث : تخرج الأحاديث جميعها .

٩ – فى الأشعار : يشار إلى مكانها فى الدواوين واختلاف روايتها فى كتب الأدب . وإذا لم يكن الشعر منسوبا يحاول المحقق معرفة قائله .

١٠ – على الباحث أن يترجم للأعلام الواردة فى النص ترجمة مختصرة .

١١ – يعرِّف بالبلدان والأماكن الواردة فى النص .

تقسيم المخطوط وترقيمه ..

.. قد يجد الباحث المخطوطة التى قرر القيام بتحقيقها ونشرها خالية تماما من الفصول والأبواب ..

فيجب عليه حينئذ أن يقسمها إلى أبواب وفصول ويضع لكل باب أو فصل عنوانا مناسبا ..

أما إذا كان المؤلف قام بعملية التقسيم هذه .. فعليه أن يبقى عليه كما هو دون تغيير فيه .

وإذا كان المخطوط خاصا بالتراجم فعليه أن يرقم الشخصيات ..

وكذلك الأمر فى كتب الأحاديث .. ترقم الأحاديث ..

.. وكثيرا ما تخلو كتب الأقدمين من الفواصل والنقط فعليه أن يضع النقط عند انتهاء المعانى فى الجمل ..

وكذلك الفاصلة كلما اقتضى الحال ذلك .. ولا تستعمل النقطة مع الفاصلة .

.. على الباحث أن يستعمل إشارة الإستفهام والتعجب فى أماكن استعمالها ويضع النقطتين بعد القول .

وإذا كان فى أصل المخطوطة أكلة أرضية وعجز عن معرفة ما فيها من كلمات ؛ وضع ثلاث نقط مكان كل كلمة ساقطة .

الفهـارس

من المهام التى يقوم المحقق بها وضع الفهارس للكتاب الذى يحققه ، والفهارس أنواع ، وقد أكثر منها الباحثون والمحققون فى الفترة الأخيرة ، الأمر الذى

يجعل الباحث يضاعف الجهد ، ويضخم حجم الكتاب .. ومن الفهارس التى لابد منها فى كل كتاب محقق .

(أ) فهرس الموضوعات والأبواب والفصول .
(ب) فهرس الأماكن والبلدان .
(حـ) فهرس للكتب التى وردت فى النص .

.. ويختلف الفهرس باختلاف الموضوع الذى يعالجه المخطوط ، فإن كان المخطوط شعرا عمل المحقق فهرسا للقوافى ومصدور الأبيات .

وإذا كان المخطوط من كتب الأحاديث يعمل فهرسا للأحاديث مرتبا حسب الحروف الأبجدية .

أما إذا كان المخطوط من كتب التاريخ فيضع فهرسا لأهم الحوادث التى ذكرت فيه .

وهكذا فى كل علم أو فن من الفنون .

المقدمــة ..

إذا انتهى الباحث من عمله فى المخطوطة ، قام بعمل مقدمة يبرز فيها عدة نقاط تكون أمام القارىء ، ليعرف العمل الجاد المثمر الذى قام به ، ومن أهم هذه النقاط ...

(أ) موضوع الكتاب وبيان من سبقه فى التأليف والكتابة فى هذا الموضوع .

(ب) وصف المخطوط والنسخ التى اعتمد عليها فى النشر وأماكن وجودها وتاريخ كتابتها .. وتقديم صور لبعض صفحاتها إن أمكن ..

(حـ) الخطوات التى اتبعها فى استخراج هذه المخطوطة . والظروف والملابسات التى دفعته إلى ذلك وعدد النسخ المفقودة التى لم يتمكن من العثور عليها .. ومساهمة الآخرين معه فى الإخراج حتى ظهر إلى النور ؛ فى الصورة التى يرضى المشتغلين بقضايا الفكر والمعرفة ..

(د) الحاجة إلى هذا الكتاب والقضايا التى يمكن أن يلقى الأضواء عليها ونشوء الجديد المبتكر ، الذى يثرى به المكتبة العربية ، ويملأ فراغا فيها لا يتم إلا بوجود هذا الكتاب ..

ثبت بالمراجع

إذا انتهى المحقق من الخطوات السابقة وأصبح الكتاب معدا ومهيأ للطبع كان عليه أن يقدم فى نهايته ثبتا بالمراجع التى رجع إليها وكانت عونا له فى الانتهاء من هذا الكتاب .. يثبت فيه .

اسم المرجع	مؤلفه	تاريخ طبعه وناشره
مثال :		
تاريخ الأدب العربى	بروكلمان ترجمة د . عبد الحليم النجار	١٩٦٢ م دار المعارف بمصر

التفسير والمفسرون	د. محمد حسين الذهبى	١٩٦١ م دار الكتب الحديثة بمصر
فتوح البلدان	لأبى الحسن البلاذرى	١٩٥٩ م مطبعة دار السعادة مصر
فهارس المكتبة العربية فى الخافقين	يوسف اسعد داغر	١٩٤٧ م طبع ببيــروت

الألفاظ المختصرة فى المخطوطة ..

يرى بعض الباحثين الإبقاء على الألفاظ المختصرة التى توجد فى كتب الأقدمين مع الإشارة إليها فمثلا فى كتب الحديث ..

يرمز إلى صحيح البخارى بحرف : خ
ويرمز إلى صحيح الإمام مسلم بحرف : م
ويرمز للبخارى ومسلم بحرف : ق
ويرمز للموطأ بحرف : ط
ويرمز لأبى داود بحرف : د
ويرمز للترمذى بحرف : ت
ويرمز للنسائى بحرف : ن
ويرمز لابن ماجه بحرف : هـ
ويرمز لمسند الإمام أحمد بحرفى : حم
ويرمز للحاكم بحرف : ك
ويرمز لابن حبان فى صحيحه بحرفى : حب

ويرمز للطبرانى فى الكبير بحرف : طب
ويرمز للدار قطنى بحرف : قط
ويرمز للبيهقى فى شعب الإيمان بحرف : هب

كما أننا نشاهد اختصار هذه الألفاظ كثيرا فى كتب الأقدمين .

فمثلا ..

رحمه الله .. رحه
تعالى .. تع
رضى الله عنه .. رضه
صلى الله عليه وسلم .. ص
إلى آخره .. الخ
انتهى .. اهـ
حدثنا .. ثنا
أخبرنا .. أنا

وهناك رموز أيضا تعد اختصارا لكلمات مثل :

١ - قبل الميلاد = ق .م
٢ - التاريخ الميلادى = م
٣ - التاريخ الهجرى = هـ
٤ - جـــزء = جـ
٥ - صفحـــة = ص
٦ - سطـــر = س

.. وهذه الاختصارات كثيرة .. وقد كتب الدكتور حسين على محفوظ رسالة فى ذلك تحت عنوان « العلامات والرموز عند المؤلفين العرب » .

ويمكن الاطلاع عليها لمن يريد وهى متوافرة فى المكتبات العامة .

علامات الترقيم ...

النقطة : وتوضع فى نهاية الجملة التامة المعنى ، المستوفية كل مكملاتها اللفظية وكذلك توضع عند انتهاء الكلام وانفصاله مثل :

الأيام دول . ومن توانى عن نفسه ضاع . ومن قهر الحق قهر .

الفصلة : وتوضع فى الأحوال الآتية : (،)

(أ) بعد لفظ المنادى مثل : يا على ، احضر الكراسة .

(ب) بعد الجملتين المرتبطتين فى المعنى والاعراب مثل : خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل .

(حـ) بين الشرط والجزاء ، وبين القسم والجواب . اذا طالت جملة الشرط أو القسم مثل :

إذا كنت فى مصر ولم تك ساكنا
على نيلها الجارى ، فما أنت فى مصر

(د) بين المفردات المعطوفة اذا تعلق بها ما يطيل بينها فيجعلها شبيهة بالجملة فى طولها ، مثل :

ما خاب تاجر صادق ، ولا تلميذ عامل بنصائح والديه ومعلميه ولا صانع مجيد صناعته غير مخلف مواعيده .

الفصلة المنقوطة ، (؛) وتوضع فى الأحوال الآتية :

(أ) بعد جملة ، ما بعدها سبب فيها مثل :
محمد من خيرة الطلاب فى فرقته ؛ لأنه حسن الصلة بأساتذته وزملائه ؛ ولا يتخلف عن المدرسة قط ؛ ويستذكر دروسه بعناية وجد .

(ب) بين الجملتين المرتبطتين فى المعنى دون الإعراب مثل :
إذا رأيتم الخير فخذوا به ؛ وإن رأيتم الشر فدعوه .
النقطتان (:) وتوضعان فى المواضع الآتية :

(أ) بين القول والمقول (الكلام المتكلم به) مثل :
... ... ثم اقول : لا يعنينى

(ب) بين الشىء وأقسامه وأنواعه مثل :
أصابع اليدين خمسة : الإبهام . ومثل :
اثنان لا يشبعان : طالب علم ، وصاحب مال .

(حـ) قبل الأمثلة التى توضح قاعدة كما وصفنا ، وتوضع بعد كلمة « مثل » فى الأمثلة الواردة هنا .

علامة الاستفهام (؟) توضع عقب جملة الاستفهام سواء كانت اداته

ظاهرة أم مقدرة والأمثلة عليها معروفة ..

علامة الانفعال (!) وتوضع فى آخر جملة يعبر بها عند فرح ، أو حزن ، أو تعجب ، أو استغاثة ، أو دعاء أو تأسف ، مثل بشراى !..

الشرطة (ـ) توضع فى المواضع الآتية :

(أ) فى أول السطر فى حال المحاورة بين اثنين إذا استغنى عن تكرار اسميهما مثل :

قال معاوية لعمرو بن العاص .
ما بلغ من عقلك ..؟
- ما دخلت فى شيء قط إلا خرجت منه .
- أما أنا فما دخلت فى شيء قط وأردت الخروج منه .

(ب) بين العدد والمعدود إذا وقعا عنوانا فى أول السطر مثل :
أولا –
ثانيا –
ثالثا –

الشرطتان (ــ ... ــ) وتوضع الشرطتان ليفصلا جملة أو كلمة معترضة فيتصل ما قبلها بما بعدها . مثل :

مختصرة – بتصرف – من كتاب « نتيجة الإملاء » للشيخ مصطفى عنان .

.. الشولتان المزدوجتان « » وتوضع بينهما العبارة المنقولة حرفيا من كلام غير ، والموضوعة فى ثنايا كلام الناقل ، ليتميز كلام الغير عن كلام الناقل ، وهذا إذا كانت العبارات المنقولة غير موضوعة فى ثنايا كلام الناقل فلا داعى لوضعها بين الشولتين المزدوجتين كما مر فى المحاورة بين عمرو بن العاص وبين معاوية .

والأمثلة كثيرة للاقتباس الذى ينقل كلام الغير ويوضع فى ثنايا كلام الناقل ويوضع من أجل هذا بين الشولتين المزدوجتين .

القوسان ( ) ويوضع بينهما عبارات التفسير والدعاء القصير فالتفسير كقولنا آنفا : وتوضع النقطتان بين القول والمقول (أى الكلام المتكلم به) .
ومثال الدعاء القصير أن تقول : كان عمر (رضى الله عنه) مثال الخليفة المسلم العادل .

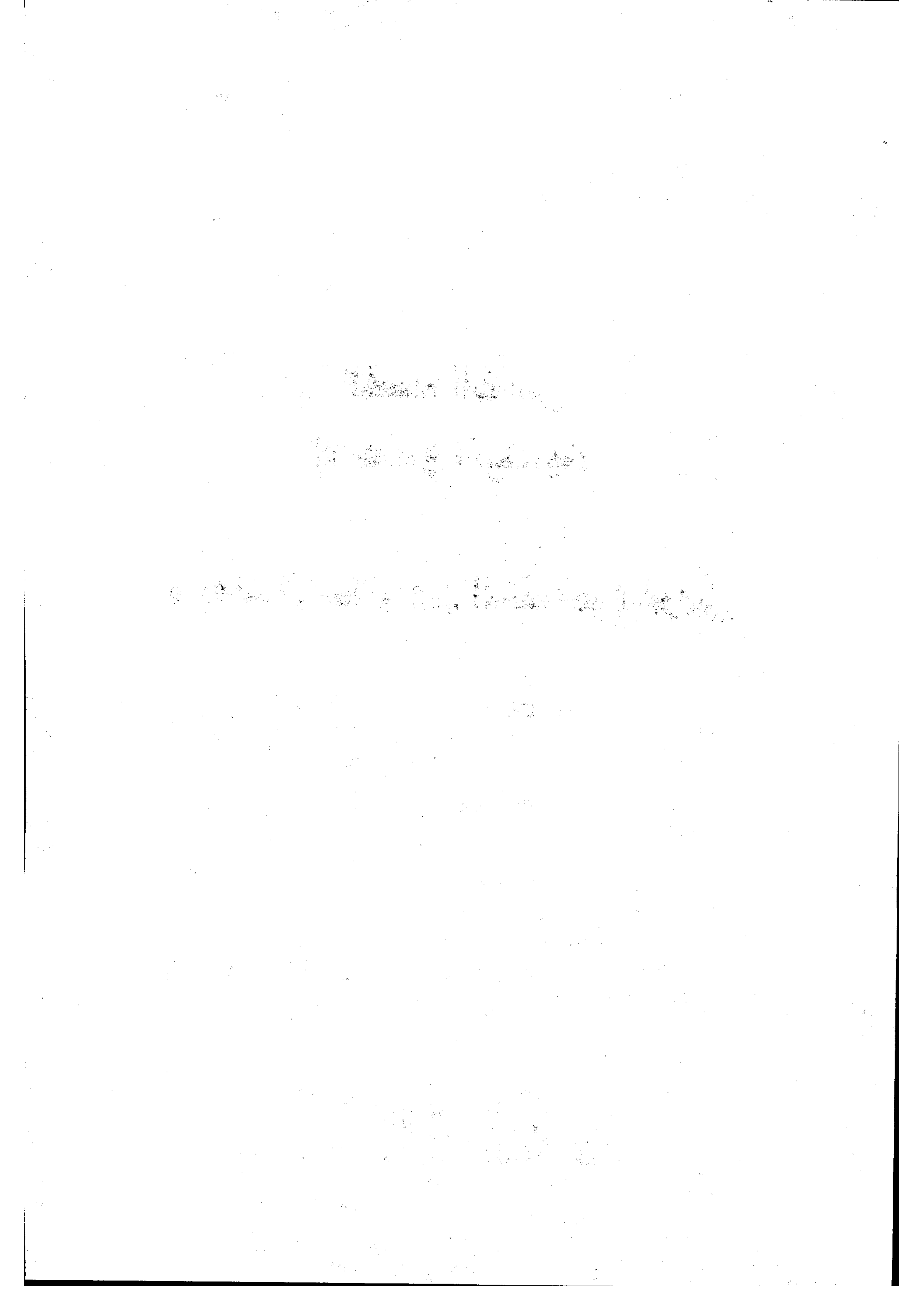
القوسان المركنان [ ] توضع بينهما زيادة قد يدخلها الشخص فى جملة اقتبسها .

علامات الحذف . وهى نقطة أفقية أقلها ثلاث مثل ... وتوضع مكان المحذوف من كلام اقتبسه الكاتب[1].

مختصرة من كتاب نتيجة الإملاء للشيخ مصطفى عناني

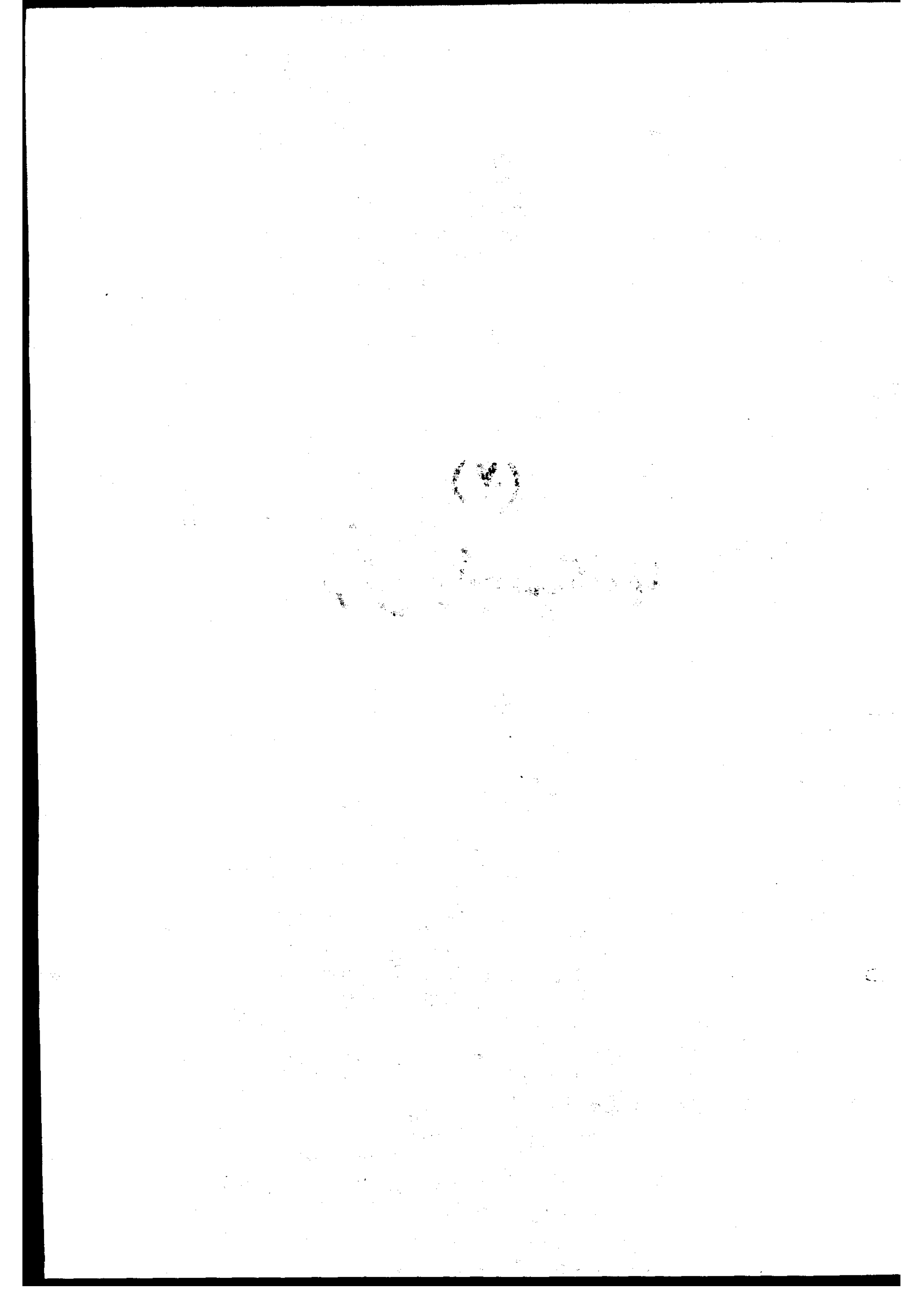
القسم الثانى
النماذج البحثية

موقف الإسلام من التمائم والرقى



(٢)

الرُّقى وأحـــكامها



(٧)

الرُّقى وأحكامها

الرُّقى : جمع رُقية ، وهى : العوذة التى يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع ولدغ الحيات والعقارب ونحوها ، كما يرقى بها من « العَيْن » .
يقول عروة :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقيانـــى !

وفى القرآن الكريم : ﴿ كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ (١)
أى لا راقى يرقيه - إذا بلغت روحه الترقوة والحلقوم - فيحميه ، فالاستفهام إنكارى .

وكانت الرقى معروفة عند العرب فى الجاهلية ، ولكنها كانت كثيراً ما تشتمل على شركيات مثل الاستعاذة بالجن والشياطين ، وسؤال غير الله ، وما لا يُفهم معناه من الكلام .

ومن هنا حذَّر النبى ﷺ من هذا النوع من الرُّقى ، وهى التى اعتبرها شركاً ، كما فى حديث ابن مسعود المتقدم : « إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شرك » .

كما أنه شرع الرقى إذا كانت بكلام الله تعالى ، أو بذكره سبحانه ، وذكر أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، والتوسل إلى الله فى منع الضر ، ورفع الأذى ، وشفاء المرضى ، ونحو ذلك .

وقد رقى جبريل رسول الله ﷺ ، ورقى عليه الصلاة والسلام نفسه ، ورقى غيره ، وأذن للصحابة بالرُّقية ، ما لم يكن فيها شرك . كما سنبين ذلك .

---

(١) القيامة : ٢٦ - ٢٧

قال الإمام الخطابى : وكان عليه الصلاة والسلام قد رَقَى ورُقى ، وأمر بها وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله ، فهى مباحة ومأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منه بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفراً ، أو قولاً يدخله الشرك (١) .

ومن ذلك : ما كان على مذاهب الجاهلية التى يتعاطونها ، وأنها تدفع عنهم الآفات بغير إذن الله تعالى وتقديره ، ويعتقدون أن ذلك من قِبَل الجن ومعونتهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد سُئل عمن يقول : يا أزران ، يا كيان ، فقال : هذه الألفاظ لا معنى لها فى كلام العرب ، وكل اسم مجهول ، فليس لأحد أن يرقى به ، فضلاً عن أن يدعو به ، ولو عرف معناه وأنه صحيح لكره أن يدعو الله بغير العربية (٢) .

وإنما يرخص لمن لا يُحسن العربية ، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً فليس من دين الإسلام (٣) .

وفى موضع آخر قال : إن المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرُّقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرُّقى التى لا تُفقه بالعربية ، فيها ما هو شرك بالجن ، ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يُفقه معناها ، لأنها مظنة الشرك ، وإن لم يعرف الراقى إنها شرك (٤) .

وفى قاعدة التوسل والوسيلة قال : وكذلك الرُّقى والعزائم الأعجمية هى تتضمن أسماء رجال من الجن يُدعون ويُستغاث بهم ، ويُقسم عليهم بمن

(١) فتح المجيد ص ١٢٦

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٤/ ٢٨٤ (٢) فتح المجيد ص ١٢٦

(٤) مجموع الفتاوى : ١٣/١٩ ، وانظر أيضاً ص ٦١ منه .

يعظمونه ، فتطيعهم الشياطين بسبب ذلك فى بعض الأمور ، وهذا من جنس السحر والشرك [١]

ومن هنا قال الحافظ ابن حجر : أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

١ - أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته .

٢ - وأن تكون باللسان العربى ، أو بما يُعرف معناه من غيره ، ويُرخَّص لغير العربى بالترجمة إلى لسانه .

٣ - وأن يعتقد أن الرُّقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تعالى [٢] .

* *

● الرُّقية كالدواء من قدر الله تعالى :

والرُّقية لا تنافى القَدَر ولا تدفعه ، بل هى من قَدَر الله تعالى ، فإنَّ الله عزَّ وجَلَّ كما قدَّر المسببات قدَّر الأسباب ، وكما قدَّر النتائج قدَّر المقدمات ، فهو يُقدِّر أن هذا المريض يُشفى بتناوله للدواء الملائم ، وهذا يُشفى برقية رجل صالح ، وذلك بأسباب يتخذها ، فهذا كله منْ قَدَر الله تعالى .

والمؤمن الفقيه فى دينه هو الذى يدفع الأقدار بعضها ببعض ، كما أمر الله تعالى وشرع ، فهو يدفع قَدَر الجوع بتناول الغذاء ، وقَدَر العطش بشرب الماء ، وقَدَر الداء بتعاطى الدواء .

وفى هذا جاء الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى خزامة قال : سألت رسول الله ﷺ ، فقلت ; يا رسول الله ؛ أرأيت رُقىً نسترقيها ،

---

(١) التوسل والوسيلة ص ١٥٦ ، طبع المكتب الإسلامى ببيروت .

(٢) انظر : فتح البارى : ١٠/١٩٥

ودواء نتداوى به ، وتُقاة نتقيها : هل ترد من قَدَر الله شيئاً ؟ قال : « هى من قدر الله » (١) وبهذا ندفع قدر الله بقدر الله .

* *

• الرُّقية والطب الجسمانى :

الرُّقية فى حقيقتها : دعاء والتجاء إلى الله تعالى رب الناس ، ومُذهب البأس ، أن يكشف الضرُّ ، ويشفى السقيم ، فهى لون من الطب المعنوى أو الطب الروحى أو الإلهى .

والإسلام لا يمنع من استخدام الأدوية المعنوية والإلهية بجوار الأدوية الطبيعية ، وقد يُكتفى فى بعض الأحيان بإحداهما دون الأخرى .

وقد نقل الحافظ فى « الفتح » عن ابن التين قوله : الرُّقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى ، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق ، حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما عزَّ هذا النوع ، فزع الناس إلى الطب الجسمانى (٢) .

وأنا أقول : إنَّ الطب الجسمانى مشروع ، حتى مع وجود ذلك النوع من الطب الروحى ، الذى يتجلى فى الرقى الشرعية والتعاويذ النبوية .

والنبى ﷺ شرع لأمَّته هذا وذاك جميعاً ، فتداوى ، وشرع التداوى للأمَّة ،

---

(١) رواه أحمد : ٤٢١/٣ ، والترمذى فى الطب (٢٠٦٦) ، وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح ، وابن ماجه فى الطب حديث (٣٤٣٧) ، وله شاهد من حديث كعب بن مالك رواه ابن حبان فى صحيحه (الإحسان : ٦١٠٠) ، وآخر من حديث حكيم بن حزام رواه الحاكم وسكت عليه هو والذهبى (٤٠٢/٤) وفى موضع آخر : صححه ، ووافقه الذهبى (١٩٩/٤) كما رواه الطبرانى ، وقال الهيثمى (٥/ ٨٥): فيه صالح بن أبى الأخضر ضعيف يعتبر به ، وهو فى سند الحاكم أيضاً .

(٢) الفتح : ١٩٦/١٠

وصحّت أحاديثه القولية والفعلية والتقريرية فى ذلك ، وعُرِف فى عدد من كتب الحديث « كتاب الطب » .

وقال فى ذلك عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو هريرة : « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء » (١) .

وعن ابن مسعود مرفوعاً « إن الله لم يُنزل داءً إلا وأنزل له شفاء ، فتداووا به » (٢)

وعن أسامة بن شريك : « تداووا يا عباد الله ، فإنَّ الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء إلا داء الهرم » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله : « لكل داء دواء ، فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » (٤) .

« ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، علمه مَن علمه ، وجهله مَن جهله » (٥) .

ومع هذا شرع الرسول الكريم لأُمته الرُّقى والتعوذ بالله تعالى ، شرعها من الألم أو المرض الواقع ، وشرعها مما يُخاف ويُتوقع فى المستقبل .

---

(١) رواه البخارى فى أول كتاب الطب عن أبى هريرة (الفتح ١٠/ ١٣٤) حديث (٥٦٧٨) .

(٢) قال فى الفتح (١٠/ ١٣٥) : أخرجه عن ابن مسعود النسائى وصححه ابن حبان والحاكم .

(٣) رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والأربعة ، وصححه الترمذى وابن خزيمة والحاكم عن أسامة بن شريك (الفتح المذكور) .

(٤) رواه مسلم عن جابر ، المصدر السابق .

(٥) رواه النسائى وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم - المصدر نفسه .

ففى حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة .

وروى الشيخان عن عائشة : « أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه ، ينفث بالمعوذتين ، ويمسح بهما وجهه » .

وعن خولة بنت حكيم مرفوعاً : « مَن نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله »(١) .

وعن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رجلاً من أسلَم ، قال : كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أصحابه ، فقال : يا رسول الله ؛ لُدِغتُ الليلة فلم أنم حتى أصبحت ، قال : « ماذا » ؟ قال : عقرب ، قال : « أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك إن شاء الله »(٢) .

وهذا يدلنا على أن الرقى والتعاويذ المشروعة تكون للوقاية ، كما تكون للعلاج .

* *

---

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى كما فى صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٥٦٧) .

(٢) رواه مسلم فى الذكر ، حديث (٢٧٠٩) ، باب : التعوذ من سوء القضاء ... إلخ ، وأبو داود فى الطب - واللفظ له - (٣٨٩٨) ، وابن ماجه (٣٥١٨) ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً .

● نفع الأدوية الإلهية :

قال الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد » : واعلم أن الأدوية الطبيعية الإلَهية تنفع من الداء بعد حصوله ، وتمنع من وقوعه ، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً ، وإن كان مؤذياً ، والأدوية الطبيعية إنما تنفع ، بعد حصول الداء ، فالتعوذات والأذكار ، إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب ، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه ، فالرقى والتعوذ تُستعمل لحفظ الصحة ، ولإزالة المرض

أما الأول : فكما فى « الصحيحين » من حديث عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (١) والمعوِّذتين ، ثم يمسح بهما وجهه ، وما بلغت يده من جسده (٢) .

وكما فى « الصحيحين » : « مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » (٣) .

وكما فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ : « مَن نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك » (٤) .

وكما فى سنن أبو داود كان فى السفر يقول بالليل : « يا أرض ، ربى

---

(١) الإخلاص : ١

(٢) رواه البخارى : ١٠٧/١١ فى الدعوات ، باب : التعوذ والقراءة عند النوم ، ومسلم (٢١٩٢) فى السلام ، باب : رقية المريض بالمعوذات .

(٣) رواه البنخارى : ٩/ ٥٠ فى فضائل القرآن ، باب : فضل سورة البقرة ، ومسلم (٨٠٨) فى المسافرين ، باب : فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨) فى الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من سوء القضاء

وربك الله ، أعوذُ بالله من شرِّك وشرِّ ما فيك ، وشرِّ ما يدبّ عليك ، أعوذُ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد » [١] .

وأما الثانى ، فكرُقية اللديغ بالفاتحة [٢] .

* *

● أفضل الرُّقى :

ولا خلاف أن أفضل الرُّقى ما كان بالصيغة المأثورة عن النبى ﷺ ، وكذلك ما أُثر عن جبريل أمين الوحى عليه السلام : أنه رقى به النبى ﷺ ، وقد صحَّت عدة صيغ عن رسول الله ﷺ بالإضافة إلى الصيغة الجبريلية ، وينبغى للمسلم أن يرقى بها ، بما اشتملت عليه من أفضل أنواع الدعاء لله والاستعاذة بالله ، والالتجاء إليه ، والبراءة مما سواه ، فضلاً عما لها من حلاوة ، وما عليها من طلاوة .

والمسلم يُؤجَر بالرُّقية بهذه الرُّقى النبوية من وجهين :

الأول : وجه الذكر والدعاء والاستعانة بالله تعالى .

والثانى : وجه الاتباع للمأثور النبوى ، والتقيد به : ففيه الهدى والفلاح .

وهذه الرُّقى منها ما هو من القرآن الكريم مثل المعوذات : سورة الإخلاص ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [٣] ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [٤] ، ومثل فاتحة الكتاب ، التى رقى بها أصحابه وأقرَّهم عليها ، ومثل آية الكرسى .

ومنها : أذكار وأدعية ليست من القرآن الكريم ، وإن كانت مقتبسة من هُداه .

* *

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٠٣) ، وأحمد : ٢/١٣٢ ، وفى سنده الزبير بن الوليد الشامى لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقى رجاله ثقات .

(٢) انظر زاد المعاد : ٤/١٨٢ - ١٨٤

(٣) أى سورة الفلق . (٤) أى سورة الناس .

● الصيغ النبوية للرُّقى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان ، مسحه بيمينه . ثم قال : « أذهب البأس ، رب الناس ، واشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَماً » (١) .

فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل ، أخذتُ بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع ، فانتزع يده من يدى ، ثم قال : « اللّهم اغفر لى واجعلنى مع الرفيق الأعلى » .

قالت : فذهبت أنظر ، فإذا هو قد قضى (٢) .

وعنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال : « أذهب الباس ، رب الناس ، واشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَماً » (٣) .

وفى رواية عنها أنه كان يرقى بهذه الرقية : « أذهب الباس ، رب الناس ، بيدك الشفاء ، لا كاشف له إلا أنت » (٤) .

وروى البخارى عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلت أنا وثابت (البنانى) على أنس بن مالك ، فقال ثابت : يا أبا حمزة ؛ اشتكيتُ ! فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : « اللّهم

---

(١) « لا يغادر سَقَماً » أى لا يترك ، والسُّقْم بضم السين وإسكان القاف وبفتحهما ، لغتان .

(٢) رواه مسلم فى السلام ، حديث (٢١٩١) (٤٦) ، وأول الحديث فى البخارى فى الطب : ١٠/٢٠٦ حديث (٥٧٤٣) .

(٣) رواه البخارى فى الطب ومسلم فى السلام (٢١٩١) (٤٨) .

(٤) رواه البخارى فى الطب (٥٧٤٤) ومسلم فى السلام (٢١٩١) (٤٩) .

ربَّ الناس ، مُذهبَ الباس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا أنت ، شِفاءً لا يُغادِر سَقَماً » (١) .

* *

● رُقية المريض بالمعوِّذات والنفث :

وعن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله ، نفث عليه بالمعوذات . فلما مرض مرضه الذى مات فيه ، جعلتُ أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه ، لأنها كانت أعظم بركة من يدى (٢) ، ومعنى : « نفث عليه » أى نفخ نفخاً لطيفاً بلا ريق ، أو مع ريق خفيف .

وفى رواية عنها : أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه ، وأمسح عنه بيده ، رجاء بركتها (٣) .

وعن عبد الرحمن بن السائب ابن أخى ميمونة ، أن ميمونة قالت لى : يا ابن أخى ؛ ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قالت : « باسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، من كل داء فيك ، أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا أنتَ » (٤) .

وعن عثمان بن أبى العاص الثقفى ، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً ، يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « ضع يدك على الذى

---

(١) رواه البخارى فى الطب ، باب : رقية النبي ، البخارى مع الفتح : ٢٠٦/١٠ ، حديث (٥٧٤٢) .

(٢) رواه مسلم فى السلام ، باب : رقية المريض بالمعوذات ، حديث (٢١٩٢) (٥٠) ، والحديث عند البخارى فى الطب أيضاً .

(٣) رواه مسلم فى السلام ، باب : رقبة المريض بالمعوذات ، حديث (٢١٩٢) (٥١) .

(٤) رواه النسائى في « عمل اليوم والليلة » (١٠٢١) ، وأحمد : ٣٣٢/٦ ، وابن حبان : (الإحسان : ٦٠٩٥) ، والطحاوى : ٣٢٩/٤ ، والطبراني : ١٠٦١/٢٣ من طريقين عن معاوية بن صالح به .

وذكره الهيثمى فى المجمع : ١١٣/٥ ، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وقد وثق وفيه ضعف ، وعلى كل حال إسناده حسن .

تألم من جسدك ، وقل : باسم الله - ثلاثاً - وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقُدرته من شر ما أجد وأحاذر » [١] .

وفى رواية أبى داود : « أعوذ بعزة الله وقُدرته من شر ما أجد » [٢] .

وروى مسلم عن أبى سعيد : أن جبريل أتي النبى ﷺ فقال : يا محمد ؛ اشتكيت ؟ قال : نعم ، قال : « بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك » [٣] .

وروى أبو داود عن أبى الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقُل : ربّنا الله الذى فى السماء ، تقدّس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء ، فاجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حُوبنا [٤] وخطايانا ، أنت ربّ الطيبين ، أنزِل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ بإذن الله » [٥] .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، أن رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم من الفزع كلمات : « أعوذ بكلمات الله التامّة ، من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » ، وكان عبد الله بن عمر يعلمهن مَن عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه [٦] .

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢٢٠٢) ، باب : استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء .

(٢) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩١) .

(٣) رواه مسلم فى السلام - حديث (٢١٨٦) .

(٤) قال الخطابى : الحوب : الإثم ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ (النساء : ٢) ، والحوبة أيضاً - مفتوحة الحاء مع إدخال الهاء .

(٥) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩٢) ، وأحمد : ٦/٢١ ، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً وفى سنده مقال .

(٦) رواه أبو داود فى الطب (٣٨٩٣) ، والترمذى فى الدعوات ، حديث (٣٥١٩) ، باب : دعاء مَن أوى إلى فراشه ، وقال : حديث حسن غريب، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً ، ورواه أحمد أيضاً ، وصححه الشيخ شاكر ، وقد تقدّم .

وعن يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة في ساق سَلَمة ، فقلت : ما هذه ؟ قال : أصابتني يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأُتِيَ بي رسول الله ﷺ فنفث فيَّ ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة (١) .

وعن عائشة ، قالت : كان النبي ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى ، يقول بريقه ، ثم قال به في التراب : « تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يُشفَى سقيمنا » (٢) .

* *

● الرُّقية بفاتحة الكتاب :

ومن أعظم الرُّقى : الرُّقية بفاتحة الكتاب وأُم القرآن .

عن خارجة بن الصلت التميمي ، عن عمه (٣) أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم أقبل راجعاً من عنده ، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد ، فقال أهله : إنَّا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير ، فهل عندك شيء تداويه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب ، فبرأ ، وفي رواية : أنه رقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية .. فكأنما أنشط من عقال . قال : فأعطوني مائة شاة ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « هل إلا هذا » ؟ ، وقال مسدد في موضع آخر : « هل قلت غير هذا » ؟ قلت : لا ، قال : خذها ، فلعمري لمن أكل برُقية باطل لقد أكلتَ برُقية حق » (٤) .

---

(١) رواه البخاري في المغازي : ٥/ ١٧٠ ، باب : غزوة خيبر ، وأبو داود في الطب (٣٨٩٤) .

(٢) رواه البخاري في الطب : ٧/ ١٧١ ، باب : رقية النبي ﷺ ، ومسلم في السلام ، حديث (٢١٩٤) ، باب : استحباب الرقية ... إلخ ، وأبو داود في الطب (٣٨٩٥) ، وابن ماجه في الطب ، حديث (٣٥٢١) ، باب : ما عوَّذ به النبي ﷺ ، ونسبه المنذري للنسائي أيضاً .

(٣) عم خارجة بن الصلت : هو علاقة بن صحار السليطي .

(٤) رواه أحمد : ٥/ ٢١١ ، وأبو داود في البيوع (٣٤٢٠) ، وفي الطب (٣٨٩٦) و(٣٨٩٧) ، عمل اليوم والليلة (١٠٣٢) ، والطبراني : ١٧/ ٥٠٩ ، وصححه ابن حبان : (الإحسان : ٦١١٠ ، ٦١١١) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي : ١/ ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

وعن أبي سعيد : أن رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا في حي من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيفوهم ، فلُدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ، إنَّ سيدنا لُدغ ، فسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم شيء ؟ فقال بعضهم : نعم ، والله إني لراقٍ ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ : ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ - يعني الفاتحة - حتى لكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي ما به قلَبَة . قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ، فقال : « وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، اقسموا واضربوا لي معكم بسهم » (١) ، ومعنى : « ما به قلبة » ، أي ما به ألم يقلب لأجله على الفراش .

* *

● من فقه الحديث :

قال الحافظ في « الفتح » : « في الحديث جواز الرُّقية بكتاب الله ، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور ، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور ، وفيه مقابلة مَن امتنع من المكرمة بنظير صنيعه لما صنعه الصحابي من الامتناع من الرقية في مقابلة امتناع أولئك من ضيافتهم ، وفيه إمضاء ما يلتزمه المرء على نفسه ، لأن أبا سعيد التزم أن يرقي ، وأن يكون الجُعل له ولأصحابه ،

---

(١) الحديث متفق عليه ، واللفظ للبخاري في الطب - حديث (٥٧٤٩) .

وأمره النبى ﷺ بالوفاء بذلك ، وفيه جواز قبض الشئ الذى ظاهره الحل ، وترك التصرف فيه إذا عرضت فيه شبهة ، وفيه الاجتهاد عند فقد النص ، وعظمة القرآن فى صدور الصحابة ، خصوصاً الفاتحة ، وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع مَن هو فى يده منعه ممن قسم له ، لأن أولئك منعوا الضيافة ، وكان الله قسم للصحابة فى مالهم نصيباً ، فمنعوهم ، فسبَّبَ لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قسم لهم ، وفيه الحكمة البالغة ، حيث اختص بالعقاب مَن كان رأساً فى المنع ، لأن من عادة الناس الائتمار بأمر كبيرهم ، فلما كان رأسهم فى المنع ، اختص بالعقوبة دونهم جزاءً وفاقاً »[١] .

* *

● عظمة الفاتحة :

وقال الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد » : « إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع ، فما الظن بكلام رب العالمين ، ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها ؟ لتضمنها جميع معانى كتب الله المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب تعالى ومجامعها ، وهى : الله ، والرب ، والرحمن ، وإثبات المعاد ، وذكر التوحيدين : توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه فى طلب الإعانة وطلب الهداية ، وتخصيصه سبحانه بذلك ، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوج شىء إليه ، وهو الهداية إلى صراطه المستقيم ، والمتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته ، بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه إلى الممات ، ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُنعَم عليه بمعرفة الحق ، والعمل به ، ومحبته ، وإيثاره ، ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له ، وضال بعدم معرفته له ، وهؤلاء أقسام الخليقة مع تضمنها لإثبات القدر ، والشرع ، والأسماء ، والصفات ، والمعاد ، والنبوات، وتزكية

---

(١) فتح البارى : ٤/٤٥٧

النفوس ، وإصلاح القلوب ، وذكر عدل الله وإحسانه ، والرد على جميع أهل البدع والباطل ، كما ذكرنا ذلك في كتابنا الكبير « مدارج السالكين » في شرحها .

وحقيق بسورة هذا بعض شأنها ، أن يُستشفى بها من الأدواء ، ويُرقَى بها اللديغ .

وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله ، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وسؤاله مجامع النِعَم كلها ، وهى الهداية التى تجلب النعم ، وتدفع النِقَم ، من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

وقد قيل : إن موضع الرُّقية منها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) ، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء ، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل ، والالتجاء والاستعانة ، والافتقار والطلب ، والجمع بين أعلى الغايات ، وهى عبادة الرب وحده ، وأشرف الوسائل وهى الاستعانة به على عبادته ، ما ليس فى غيرها . ولقد مرّ بى وقت بمكة سقمتُ فيه ، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها ، آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مراراً ، ثم أشربه ، فوجدتُ بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع » (٢) .

* *

● من أى شىء تكون الرُّقية ؟

أثبتت الأحاديث الصحاح : أن الرُّقية مشروعة من كل الآلام والأمراض التى تصيب المسلم .

روى مسلم فى صحيحه فى باب استحباب الرُّقية من العين والنملة والحُمة

---

(١) الفاتحة : ٥

(٢) زاد المعاد : ٤/١٧٧ ، ١٧٨

والنظرة ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، قال : سألت عائشة عن الرُّقية ؟ فقالت : رخَّص رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار فى الرُّقية ، من كل ذى حُمة (١) .

الحُمة فى السم : ومعناه : أذن فى الرُّقية من كل ذات سم .

وعن عائشة أيضاً : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه ، أو كانت به قرحة أو جرح ، قال النبى ﷺ بإصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها : « باسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى به سقيمنا ، بإذن ربنا » (٢) .

وعنها رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقى من العين (٣) .

وعن أنس قال : رخَّص رسول الله ﷺ ، فى الرُّقية من العين ، والحُمة ، والنملة (٤) .

وعن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لجارية ، فى بيت أُم سلمة ، زوج النبى ﷺ رأى بوجهها سفعة فقال : « بها نظرة فاسترقوا لها » يعنى بوجهها صفرة (٥) .

« السفعة » قد فسرها فى الحديث بالصفرة ، وقيل : سواد . وقال

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٣) .

(٢) « أرضنا ، بريقة » قال جمهور العلماء : المراد بأرضنا هنا : جملة الأرض . وقيل : أرض المدينة خاصة لبركتها ، والريقة : أقل من الريق ، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شىء ، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ، ويقول هذا الكلام فى حال المسح .

(٣) متفق عليه وسيأتى .

(٤) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٦) (٥٨)

(٥) رواه مسلم فى السلام .

ابن قتيبة : هى لون يخالف لون الوجه ، و« النظرة » هى العين ، أى أصابتها عين ، وقيل : هى المس أى مس الشيطان .

وعن أبى الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : رخَّص النبى ﷺ لآل حزم فى رقية الحية . وقال لأسماء بنت عميس : « مالى أرى أجسام بنى أخى ضارعة (أى نحيفة) تصيبهم الحاجة » ؟ قالت : لا ، ولكن العين تسرع إليهم ، قال : « ارقيهم » ، قالت : فعرضت عليه ، فقال : « ارقيهم » (١) .

قال أبو الزبير : وسمعت جابر بن عبد الله يقول : لدغت رجلاً منا عقرب ، ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أرقى ؟ - وفى رواية : أرقيه ؟ - قال : « مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » (٢) .

وعن جابر أيضاً قال : كان لى خال يرقى من العقرب ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرُّقى : قال : فأتاه ، فقال : يا رسول الله ؛ إنك نهيت عن الرُّقى ، وأنا أرقى من العقرب ، فقال : « مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » (٣) .

وعن جابر أيضاً ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى ، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، وإنك نهيت عن الرُّقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأساً ، مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » (٤) .

* *

---

(١) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٨) .

(٢) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦١) .

(٣) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦٢) .

(٤) رواه مسلم فى السلام (٢١٩٩) (٦٣) .

● لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك :

وعن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ فقال : « اعرضوا عليَّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك »(١) .

روى أبو داود عن الشفاء (٢) بنت عبد الله قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة ، فقال لي : « ألا تُعلِّمين هذه رُقية النملة كما علمتيها الكتابة » ؟ (٣) .

والنملة : قروح تخرج في الجنبين ، ويقال : إنها تخرج أيضاً في غير الجنب ، تُرقَى فتذهب بإذن الله عزَّ وجلَّ .

وعن عثمان بن حكيم : حدَّثتني جدتي الرباب قالت : سمعت سهل ابن حُنيف يقول : مررنا بسيل فدخلت ، فاغتسلت فيه ، فخرجت محموماً ، فنمي ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذ » ، قالت : فقلت : يا سيدي (٤) ، والرقى صالحة ؟ فقال : « لا رُقية إلا في نفس أو حُمة أو لدغة »(٥) .

قال أبو داود : الحُمة من الحيَّات وما يلسع .

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٠) .

(٢) الشفاء : اسمها ليلى ، وغلب عليها الشفاء ، قرشية عدوية ، أسلمت قبل الهجرة ، وبايعت النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ يأتيها ويقيل في بيتها ، وكان عمر رضي الله عنه يُقدِّمها في الرأي ويرضاها ويفضلها ، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق ، والياء في « علمتيها الكتابة » ناشئة عن إشباع الكسرة .

(٣) رواه أبو داود في الطب ، حديث (٣٨٨٧) .

(٤) قال الخطابي : النفس : العين ، وفيه بيان جواز أن يقول الرجل لرئيسه من الآدميين : يا سيدي .

(٥) رواه أبو داود في الطب (٣٨٨٨)

وأنفع ما يكون الرُّقية من العين ، وخصوصاً عين الحاسد إذا حسد .

* *

● كلام ابن القيم فى تأثير العين والرقية منها :

كتب ابن القيم فى كتاب « زاد المعاد فى هَدْى خير العباد » فصولاً فى هَدْيه - صلى الله عليه وسلم - فى العلاج بالأدوية الروحانية الإلهية المفردة ، والمركَّبة منها ، ومن الأدوية الطبيعية :

منها : فصل فى هَدْيه - صلى الله عليه وسلم - فى علاج المصاب بالعين ، وفيه ذكر جملة من الأحاديث منها :

ما رواه مسلم « فى صحيحه » عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ولو كان شىء سابقَ القدر ، لسبقته العين » (١) .

وفى « صحيحه » أيضاً عن أنس ، أن النبى ﷺ رخَّص فى الرُّقية من الحُمة والعَيْن والنملة (٢) .

وفى « الصحيحين » من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « العَيْن حق » (٣) .

---

(١) رواه مسلم (٢١٨٨) فى السلام ، باب : الطب والمرض والرُّقى ، ومعناه : أنَّ القَدَر لا يسبقه شىء ، ولو كان يُسبق لسبقته العَيْن لقوتها وسرعة تأثيرها .

(٢) رواه مسلم (٢١٩٦) فى السلام ، باب : استحباب الرُّقية من العَيْن والنملة والحُمة والنظرة ، والحُمة بالتخفيف : السُّم ، ويُطلق على إبرة العقرب للمجاورة ، لأن السُّم يخرج منها ، والنملة : قروح تخرج فى الجنب .

(٣) رواه البخارى : ١٠/ ١٧٣ ، فى الطب ، باب : العين حق ، ومسلم (٢١٨٧) فى السلام ، باب . الطب والمرض والرُّقى .

وفى « الصحيحين » عن عائشة قالت : أمرنى النبى ﷺ - أو أمر - أن نسترقى من العين (١) .

وذكر الترمذى : أن أسماء بنت عُميس ، قالت : يا رسول الله ؛ إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ، فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين » ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح (٢) .

قال الإمام ابن القيم : والعين : عينان : عين إنسية ، وعين جِنِّية ، فقد صح عن أم سلمة ، أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة ، فقال : « استرقوا لها ، فإن بها النظرة » (٣) .

قال الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوى : وقوله : « سفعة » أى نظرة ، يعنى : من الجن . يقول : بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسِنَّة الرماح (٤) .

وعن أبى سعيد ، أن النبى ﷺ كان يتعوَّذ من الجان ، ومن عين الإنسان (٥) .

فأبطلت طائفة ممن قَلَّ نصيبهم من السمع والعقل أمر العَيْن ، وقالوا : إنما

---

(١) رواه البخارى : ١٠/١٦٩ - ١٧٠ فى الطب : باب : رُقية العَيْن ، ومسلم (٢١٩٥) فى السلام ، باب : استحباب الرُّقية من العَيْن والنملة والحُمة والنظرة .

(٢) رواه الترمذى (٢٠٥٩) ، وأحمد : ٦/٤٣٨ ، وابن ماجه (٣٥١٠) ، وسنده جيد .

(٣) أخرجه البخارى : ١٠/١٧١ - ١٧٢ فى الطب : باب : رُقية العَيْن ، ومسلم (٢١٩٧) فى السلام ، باب : رُقية العَيْن ، والسَّفْعة - بفتح السين ويجوز ضمها وسكون الفاء - سواد فى الوجه ، ومنه سَفْعة الفرس : سواد ناصيته ، وعن الأصمعى : حُمْرة يعلوها سواد ، وقيل : صُفْرة ، وقيل : سواد مع لون آخر ، وقال ابن قتيبة : لون يخالف لون الوجه ، وكلها متقاربة .

(٤) انظر شرح السُّنَّة : ١٣/١٦٣ ، بتحقيق شعيب الأرناؤوط .

(٥) أخرجه الترمذى (٢٠٥٩) ، والنسائى : ٨/٢٧١ ، وابن ماجه (٣٥١١) ، وحسَّنه الترمذى ، وتمامه : « فلما نزلت المعوذتان ، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك » .

ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء مِن أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجاباً ، وأكثفهم طباعاً ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس ، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها ، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ، ولا تنكره ، وإن اختلفوا فى سببه وجهة تأثير العَيْن .

فقالت طائفة : إن العائن إذا تكيَّفت نفسه بالكيفية الرديئة ، انبعث من عينه قوة سُمِّية تتصل بالمعين ، فيتضرر ، قالوا : ولا يُستنكر هذا ، كما لا يُستنكر انبعاث قوة سُمِّية من الأفعى تتصل بالإنسان ، فيهلك ، وهذا أمر قد اشتُهِر عن نوع من الأفاعى ، أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلكْ ، فكذلك العائن .

وقالت فرقة أُخرى : لا يُستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية ، فتتصل بالمعين ، وتتخلل مسام جسمه ، فيحصل له الضرر .

وقالت فرقة أُخرى : قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلاً ، وهذا مذهب مُنكرى الأسباب والقُوَى والتأثيرات فى العالَم ، وهؤلاء قد سدُّوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب ، وخالفوا العقلاء أجمعين .

قال ابن القيم : « ولا ريب أنَّ الله سبحانه خلق فى الأجسام والأرواح قُوَىً وطبائع مختلفة ، وجعل فى كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح فى الأجسام ، فإنه أمر مُشاهَد محسوس ، وأنت ترى الوجه كيف يحمرّ حُمرة شديدة إذا نظر إليه مَن يحتشمه ويستحى منه ، ويصفرّ صُفرة شديدة إذا نظر مَن يخاف إليه ، وقد شاهد الناس مَن يسقم من النظر وتضعف قواه ، وهذا كله بتأثير الأرواح ، ولشدة ارتباطها بالعين يُنسب الفعل إليها ، وليست هى الفاعلة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة فى طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها ، فروح الحاسد مؤذية

للمحسود أذىً بيِّناً ، ولهذا أمر الله - سبحانه - رسوله أن يستعيذ به من شره ، وتأثير الحاسد فى أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية ، وهو أصل الإصابة بالعَيْن ، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة ، وتقابل المحسود ، فتؤثر فيه بتلك الخاصية ، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى ، فإن السُّمَّ كامن فيها بالقوة ، فإذا قابلت عدوها ، انبعث منها قوة غضبية ، وتكيَّفت بكيفية خبيثة مؤذية ، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى إسقاط الجنين ، ومنها ما تؤثر فى طمس البصر ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الأبتر ، وذى الطفيتين من الحيات : « إنهما يلتمسان البصر ، ويُسقطان الحبل »(١) .

ومنها ما تؤثر فى الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به ، لشدة خبث تلك النفس ، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة ، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية ، كما يظنه مَن قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة ، بل التأثير يكون تارة بالاتصال ، وتارة بالمقابلة ، وتارة بالرؤية ، وتارة بتوجه الروح نحو مَن يُؤثِّر فيه ، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات ، وتارة بالوهم والتخيل ، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى ، فيوصف له الشيء ، فتُؤثِّر نفسه فيه ، وإن لم يره ، وكثير من العائنين يُؤثِّر فى المعين بالوصف من غير رؤية ، وقد قال تعالى لنبيه : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ ﴾(٢) ، وقال : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(٣) ، فكل عائن حاسد ،

---

(١) أخرجه البخارى : ٦/٢٤٨ فى بدء الخلق ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ (البقرة : ١٦٤) ، ومسلم (٢٢٣٣) فى السلام ، باب : قتل الحيَّات وغيرها . من حديث ابن عمر ، والطفيتان : هما الخطان الأبيضان على ظهر الحيَّة ، والأبتر : قصير الذنب ، وقوله : يلتمسان البصر ، قال الخطابى : فيه تأويلان ، أحدهما : معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه بخاصية جعلها الله تعالى فى بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان ، والثانى : أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش ، والأول أصح وأشهر .

(٢) القلم : ٥١

(٣) الفلق : ٤ - ٥

وليس كل حاسد عائناً ، فلما كان الحاسد أعم من العائن ، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن ، وهى سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة ، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه ، أثَّرت فيه ، ولا بد ، وإن صادفته حذراً شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام ، لم تُؤثِّر فيه ، وربما رُدَّت السهام على صاحبها ، وهذا بمثابة الرمى الحسى سواء ، فهذا من النفوس والأرواح ، وذاك من الأجسام والأشباح ، وأصله من إعجاب العائن بالشىء ، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ، ثم تستعين على تنفيذ سُمِّها بنظرة إلى المعين ، وقد تَعين الرجل نفسه ، وقد تعين بغير إرادته ، بل بطبعه ، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنسانى ، وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن مَن عُرِف بذلك ، حبسه الإمام ، وأجرى له ما يُنفَق عليه إلى الموت ، وهذا هو الصواب قطعاً .

والمقصود . . العلاج النبوى لهذه العِلّة ، وهو أنواع ، وقد روى أبو داود فى سننه عن سهل بن حنيف ، قال : مررنا بسيل ، فدخلت ، فاغتسلت فيه ، فخرجت محموماً ، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذ » ، قال : فقلت : يا سيدى ؛ والرقى صالحة ؟ فقال : « لا رقية إلا فى نفس ، أو حُمة أو لدغة » (١) .

والنفس : العَيْن ، يقال : أصابت فلاناً نفساً ، أى : عين . والنافس : العائن . واللدغة - بدال مهملة وغين معجمة - وهى ضربة العقرب ونحوها .

فمن التعوذات والرُّقى : الإكثار من قراءة المعوذتين ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسى .

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٨) في الطب ، باب : ما جاء فى الرُّقى ، وفى سنده « رباب » جدة عثمان بن حكيم ، لم يوثقها غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات .

ومنها التعوذات النبوية نحو : « أعوذ بكلمات الله التامات من شَرِّ ما خلق » (١) .

ونحو : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .

ونحو : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بَر ولا فاجر ، من شَرِّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شَرِّ ما يعرج فيها ، ومن شَرِّ ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شَرِّ فتن الليل والنهار ، ومن شَرِّ طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن » .

ومنها : « أعوذُ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شَرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » .

ومنها : « اللَّهم إنى أعوذُ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات من شَرِّ ما أنت آخذ بناصيته ، اللَّهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللَّهم إنه لا يُهزم جندك ، ولا يُخلف وعدك ، سبحانك وبحمدك » .

ومنها : « أعوذُ بوجه الله العظيم الذى لا شىء أعظم منه ، وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر ، وأسماء الله الحسنى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، من شَرِّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شَرِّ كل ذى شَرٍّ لا أطيق شَرَّه ، ومن شَرِّ كل ذى شَرٍّ أنت آخذ بناصيته ، إن ربى على صراط مستقيم » .

ومنها : « اللَّهم أنت ربى لا إلَه إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قُوَّة إلا بالله ، أعلم أنَّ الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً ، اللَّهم إنى أعوذُ بك من شَرِّ نفسى ، وشَرِّ

---

(١) رواه مسلم فى السلام ، باب : الذكر والدعاء (٢٧٠٩) .

الشيطان وشركه ، ومن شرّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إنّ ربى على صراط مستقيم » .

وإن شاء قال : « تحصّنتُ بالله الذى لا إله إلا هو ، إلهى وإله كل شىء ، واعتصمت بربى ورب كل شىء ، وتوكلت على الحى الذى لا يموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبى الله ونِعْمَ الوكيل ، حسبى الرب من العباد ، حسبى الخالق من المخلوق ، حسبى الرازق من المرزوق ، حسبى الذى هو حسبى ، حسبى الذى بيده ملكوت كل شىء ، وهو يُجير ولا يُجار عليه ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، وليس وراء الله مرمى ، حسبى الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » .

ومَن جرَّب هذه الدعوات والعوذ ، عرف مقدار منفعتها ، وشدة الحاجة إليها ، وهى تمنع وصول أثر العائن ، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها ، وقوة نفسه ، واستعداده ، وقوة توكله وثبات قلبه ، فإنها سلاح والسلاح بضاربه .

وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين ، فليدفع شرها بقوله : اللّهم بارك عليه ، كما قال النبى ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « ألا برّكتَ » (١) ، أى : قلتَ : اللّهم بارك عليه .

ومما يُدفع به إصابة العين قول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، روى هشام ابن عروة ، عن أبيه ، أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه ، أو دخل حائطاً من حيطانه ، قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

ومنها رُقية جبريل عليه السلام للنبى ﷺ التى رواها مسلم فى « صحيحه » :

---

(١) رواه مالك فى الموطأ : ٢/٩٣٨ ، فى أول كتاب العيْن ورجاله ثقات .

« بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شرِّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك »[(١)] .

ورأى جماعة من السَلَف أن تُكتب له الآيات من القرآن ، ثم يشربها ، قال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ، ويغسله ، ويسقيه المريض ، ومثله عن أبى قِلابة ، ويُذكر عن ابن عباس : أنه أمر أن يُكتب لامرأة تعسَّر عليها ولادها أثر من القرآن ، ثم يُغسل وتُسقى ، وقال أيوب : رأيت أبا قِلابة كتب كتاباً من القرآن ، ثم غسله بماء ، وسقاه رجلاً كان به وجع .

ذكر هذا كله ابن القيم فى « زاد المعاد »[(٢)] .

* *

● مَن يرقى ؟

وينبغى أن يكون الراقى مسلماً صالحاً ، حتى يكون مظنة لاستجابة الدعاء ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وإن جاز أن يكون الراقى غير مسلم ، إذا التزم برقى المسلمين ، وهذا أمر غير مأمون .

روى ابن حبان عن عائشة : أن رسول الله ﷺ دخل عليها ، وامرأة تعالجها أو ترقيها ، فقال : « عالجيها بكتاب الله »[(٣)] .

قال أبو حاتم ابن حبان : قوله صلى الله عليه وسلم : « عالجيها بكتاب الله » أراد : عالجيها بما يُبيحه كتاب الله ، لأن القوم كانوا يرقون فى الجاهلية

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٥) فى السلام ، باب : الطب والمرض والرُّقى .

(٢) الجزء الرابع ، ص ١٦٢ - ١٧١ ، طبع الرسالة ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٣) الإحسان : ١٣/ ٤٦٤

بأشياء فيها شرك ، فزجرهم بهذه اللفظة عن الرُّقَى إلا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركاً (١) .

وفي بعض الروايات أن هذه المرأة كانت يهودية ، فقد روى في العَين ، باب : التعوذ والرقية من المرض ، والبيهقي عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أن أبا بكر الصِّدِّيق دخل على عائشة ، وهي تشتكي ، ويهودية ترقيها ، فقال أبو بكر : ارقيها بكتاب الله (٢) .

قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : قال الربيع : سألت الشافعي عن الرُّقية ، فقال : لا بأس أن ترقي بكتاب الله وبما يُعرف من ذكر الله ، قلت : أيرقي أهل الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم ، إذا رقوا من كتاب الله (٣) .

* *

● الرُّقى المكتوبة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويجوز أن يُكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويُغسل ويُسقى ، كما نص على ذلك أحمد وغيره ، قال عبد الله بن أحمد : قرأت على أبي : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب : بسم الله ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالَمين : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (٤) ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

---

(١) انظر الإحسان (٦٠٩٨) ، قال محققه : رجاله ثقات رجال الشيخين ، إلا أن أبا أحمد الزبيري - وهو محمد بن عبد الله بن الزبير - قال محمد : كان كثير الخطأ في حديث سفيان ، وقال أبو حاتم : عابد مجتهد حافظ للحديث له أوهام .

(٢) الموطأ : ٢/٩٤٣ ، والسنن الكبرى : ٩/٣٤٩

(٣) الزرقاني على الموطأ : ٤/٣٢٨

(٤) النازعات : ٤٦

يرونَ ما يُوعدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ، بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (١) . قال أبى : حدثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه ، وقال : يُكتبَ فى إناء نظيف فيُسقى ، قال أبى : وزاد فيه وكيع : فتُسقى ويُنضح ما دون سرَّتها ، قال عبد الله : رأيت أبى يكتب للمرأة فى جام أو شىء نظيف .

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى : أخبرنا الحسن ابن سفيان النسوى ، حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، حدثنا علىّ ابن الحسن بن شقيق ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب : بسم الله ، لا إله إلا الله العلى العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ، بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ﴾ . قال علىّ : يكتب فى كاغدة فيُعلق على عضد المرأة ، قال علىّ : وقد جربناه فلم نر شيئاً أعجب منه ، فإذا وضعت تحله سريعاً ثم تجعله فى خرقة أو تحرقه (٢) .

هذا وأنا أفضل أن تكون الرقى مقروءة شفاهاً ، كما كان يفعل النبى ﷺ .

* * *

● الرد على مَن كره الرُّقى بإطلاق :

روى الشيخان وغيرهما - واللفظ للبخارى - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج علينا النبى ﷺ يوماً فقال : « عُرِضت علىّ الأمم ، فجعل يمر النبى معه الرجل ، والنبى معه الرجلان ، والنبى معه الرهط ، والنبى ليس معه أحد ، ورأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق ، فرجوتُ أن تكون أمّتى ، فقيل :

---

(١) الأحقاف : ٣٥ (٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٩ - ٦٠ - ٦٥

هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى : انظر ، فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأُفق ، فقيل لى انظر هكذا وهكذا ، فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأُفق ، فقيل : هؤلاء أُمَّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » .

فتفرَّق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبى ﷺ فقالوا : أما نحن فوُلِدْنا فى الشرك ، ولكنَّا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبى ﷺ فقال : « هم الذين لا يتطيَّرون ، ولا يكتوون ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عكاشة » (١) .

تمسك بهذا الحديث مَن كره الرُّقى والكى من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان فى التوكل دون غيرهما ، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة :

أحدها : قاله الطبرى والمازرى وطائفة : أنه محمول على مَن جانب اعتقاد الطبائعيين فى أن الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون .

وقال غيره : الرُّقى التى يُحمد تركها ما كان من كلام الجاهلية ، ومن الذى لا يُعقل معناه لاحتمال أن يكون كفراً ، بخلاف الرُّقى بالذكر ونحوه .

وتعقبه عياض وغيره بأن الحديث يدل على أن للسبعين ألفاً مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم فى أصل الفضل والديانة ، ومَن كان يعتقد أن الأدوية تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها فليس مسلماً ، فلم يسلم هذا الجواب .

ثانيها : قال الداودى وطائفة : إن المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك فى الصحة خشية وقوع الداء ، وأما مَن يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا ،

---

(١) رواه البخارى فى الطب ، باب : مَن لم يرق - حديث (٥٧٥٢) ، ومسلم فى السلام

وقد قدَّمتُ هذا عن ابن قتيبة وغيره فى باب : « مَن اكتوى » ، وهذا اختيار ابن عبد البر ، غير أنه معترض بما قدَّمته من ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء .

ثالثها : قال الحليمى : يُحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين فى الحديث : مَن غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المُعَدة لدفع العوارض ، فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء ، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله ، والرضا بقضائه ، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرُقاة ، ولا يحسنون من ذلك شيئاً ، والله أعلم .

رابعها : أن المراد بترك الرُّقى والكى : الاعتماد على الله فى دفع الداء والرضا بقدره ، لا القدح فى جواز ذلك ، لثبوت وقوعه فى الأحاديث الصحيحة وعن السَلَف الصالح ، لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطى الأسباب ، وإلى هذا نحا الخطابى ومَن تبعه . قال ابن الأثير : هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها ، وهؤلاء هم خواص الأولياء .

ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبى ﷺ فعلاً وأمراً ، لأنه كان فى أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل ، وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ، ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله ، لأنه كان كامل التوكل يقيناً فلا يؤثر فيه تعاطى الأسباب شيئاً ، بخلاف غيره ، ولو كان كثير التوكل ، لكن مَن ترك الأسباب وفوَّض وأخلص فى ذلك كان أرفع مقاماً .

قال الطبرى : قيل : لا يستحق التوكل إلا مَن لم يخالط قلبه خوف من شىء ألبتة ، حتى السبع الضارى والعدو العادى ، ولا من لم يسع فى طلب رزق ولا فى مداواة ألم ، والحق أن مَن وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح فى توكله تعاطيه الأسباب اتباعاً لسُنَّته وسُنَّة رسوله ، فقد ظاهر صلى الله عليه وسلم فى الحرب بين درعين ، وليس على رأسه المِغفَر ، وأقعد

الرماة على فم الشِعْب ، وخندَقَ حول المدينة ، وأذن فى الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ، وهاجر هو ، وتعاطي أسباب الأكل والشرب ، وادخر لأهله قوتهم ، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء ، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك ، وقال الذى سأل : أعقل ناقتى أو أدعها ؟ قال : « اعقلها وتوكّل » ، فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل ، والله أعلم . » (١) .

* * *

(١) فتح البارى : ١٠/٢١١ - ٢١٢